روايات عبير

روزالي آش

زوجة الغجري

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

٢٣٠

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 230

زوجة الفجرى

صحبت عودة سول جالاجر غير المتوقعة إلى حياة تشيسى مجموعة من المشاعر الأليمة .. كانت تتمنى لو أن تضحى بأى شىء فى سبيل ان لا تشعر بها مرة أخرى !

لم يبد على سول أى تغير يذكر .. لا لقد تبدلت المسمة الفجرية المتوحشة وتحولت إلى رفعه بادية اكتسبها من الحياة المرفهة التى عاشها كلاعب بولو دولى شهير .

لقد أصبح أكثر وسامة من ذى قبل ولكنه مازال مغروراً ومستعداً لادانتها دائماً ، فلماذا أصبح فجأة ليهتم بتشيسى؟ .. وكيف لها أن تخبره بسرها .. هذا السر الذى - دون أدنى شك - له كل الحق فى الإطلاع عليه ؟!

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق

U.K. 2,40
France F 16
Greece Drs 320
Cyprus P 2,40

الفصل الأول

زيارة واجبه

ها هو سول جالاجر يعود من جديد !

كتمت المفاجأة أنفاس فرانشيكا وبدأت دقات قلبها تزداد فى الارتفاع حتى ظنت أنها ستفقد وعيها .. كان هذا للحظات عندما شاهدت شخصاً طويلاً عريض الكتفين يقف بلا حراك على الجانب المقابل للكنيسه بجوار كارول.

سيطرت على اعصابها وأمسكت بقوه بالمقعد الخشبى أمامها وهى تسخر فى ذاتها من سذاجتها ، لقد كان واضحاً أن سول سيأتى لحضور جنازه والدها رغم انه لم يكلف نفسه عناء زيارة « بيلد ريدج » طيلة السنوات الاربع السابقه ولكن الحقيقه القاسيه التى لا نعرفها .. أنها وسول قد تباعدا كثيراً ولكن بما أن والدته كارول قد أتصلت بها تليفونيا وأظهرت عطفها وعونها ورتبت قدومها من « وارويكشير » والمبيت الليله فما الذى جعلها تفترض أنها فى مأمن من زيارة واجب مماثله يقوم بها سول؟!

لقد امتلأت السنوات القليله الماضيه بعباره «فقط .. لو » !

فقط لو أستطاعت ان تقيد عقارب الساعة وتعيد ترتيب تلك اللحظات المصيريه بعد حفل عيد ميلادها الثامن عشر.

فقط لو أن صحة والدها لم تتدهور فجاه مما جعلها سجينه « هيل ميد» مانعه اياها من الهروب الذى لم تشك لحظه أنها ستقدم عليه رابطاً اياها ببيت العائله وأعمالها بروابط غير مرئيه ولكنها مؤثرة بحيث لا يمكن

الفتاك منها.

ها هو ذا سول يعود .. أعاد لكى يحكم وينتقد أم ليشمت ؟!

قطعت فرانشيكا نظرتها السريعه للكنيسه الأخذه فى الازدحام وحولت رأسها لتصبح فى مواجهه المذبح ، فى محاوله منها لأخفاء غضبها وأرتعاشتها غير الطبيعيه وقد غطى شعرها الأسود المسترسل على وجهها وعينيها الزرقاوتين المنهكتين .

– هل أنت بخير .. ؟

سألتها سارة بعد أن لأحظت التصاق مفاصل أصابعها فى عصبيه وشحوب وجهها الظاهر وسط معطفها الاسود ..

– « تشيس » انك تبدين شاحبة ..

ومن جانبها الاخر مد « أنجس » يده رابتاً على ذراعها هامساً :

– تماسكى وتشجعى يا عزيزتى سينتهى كل شىء حالاً »

لم تكن فرانشيكا تسمعها فقد كانت متذمرة فى داخلها من حضور سول دون دعوه ، كيف جرؤ على الحضور اليوم ؟ كيف وهو الذى كان دوماً يكره أباها بل وواجهه بذلك فى النهايه ؟ اليس لديه أيه فكره عن حساسية ظهوره الان فى مثل هذا الوقت الحزين بعد أربعه أعوام من الصمت؟

ولكن لا ، لم تكن أمنيه بصوره تامه . يالها من منافقه !.

كانت صدمه رؤيته غير ذات صله بوجوده غير المرغوب فيه فى لحظه من الاحزان الخاصه ولا كذلك بالكراهيه التى بين سول وبين أبيها .

لقد أحيت عودة سول جالانجر الى « بلدريدج » عبأ الماضى الثقيل .. الحقائق القاسيه لقد اسلمت نفسها لنسيان هذه الحقائق التى كانت تفضل ان تموت على ألا تفكر فيها مرة أخرى . أنها تشكر السماء لأن ظهورة سينتهى بسرعه . فعمله المرموق لا يسمح له بالابتعاد لأكثر من أربعه وعشرين ساعه كحد أقصى .

وبدأ الارجون فى العزف وتوافد الكثير من أهل القريه الى الكنيسه وأحكمت فرانشيسكا معطفها الأسود الطويل حول نفسها متأثره برؤيه

هذا العدد الكبير من الناس .

فلم يكن والدها كليف سانت أوبين « ذا شعبيه كبيره فقد حالت طباعه دون هذه الشعبيه وازداد الأمر سوماً منذ وفاة والدتها ورغم ذلك فقد نال الكثير من الاحترام وهذا ما يؤكده عدد الحاضرين للجنازه فهاهم يقدمون أخر أحتراماتهم .

منذ زمن اعتادت القريه وجود السيد كليف سانت أوبين وزوجته وابنته، يعيشون فى « هيل ميد » ويملكون ويديرون مزارع خيول هيل ميدن .

وهى فى الرابعه عشر توفيت والدتها أثر أصطدام أحد الخيول بعد انزلاقه وهو يجرى فى مضمار موحل . ولكنها لا تزال تتذكر العطف والعون الكبير.

لم تكن وفاة والدها صدمة فقد علمت طيله ثلاث سنوات أنه يحتضر وطيله هذه الفتره كانت لديها الوقت ، حقيقه لم تكن تريد هذا الوقت ولكنه كان موجوداً لكى تعد نفسها لتقبل فقدان أحد الأشخاص ، وقت ترتب فيه المراحل المختلفه من الاسى والغضب والحزن الذى بدا انه يلازمها

بدأ القس يتلو كلماته قائلا :

– فى اوج الحياه يأتى الموت »

قابلت فرانشيسكا عينى ساره البنتين اللتان تمتلأن بالعطف وتظهر ان الانزعاج فى محاوله لمحاربه الشعور بالالم والحزن .

انها سعيده لحضور ساره ، فمنذ ان تزوجت زميلة دراستها سارة من انجس الطبيب البيطرى للقريه تقارب الثلاثه وكانا لها بمثابه الشقيق والشقيقيه اللذان لم يهبها القدر إياهما . وكانت ساره سنداً لها طوال السنوات الثلاثه الماضيه .

لم تدرك على وجه التأكيد كيف أستطاعت استكمال المراسم ؟ ولا كيف أحتفظت بثقتها وتحكمها بنفسها ؟ وفكرت فى ذلك وهى تقف بجوار القبور فى مواجهه ريف ديفون الناعم الأخاذ الذى يمتد على جانبى الكنيسه العتيقه .

تبادر الى ذهنها فجأه خاطر اليم عن كيف سيبدو « هيل ميد » بدون والدها وهو يتفقد المكان ويلقى بالأوامر وشعرت بانهيار تحكمها فى مشاعرها وأخذت نفساً عميقاً لتسيطر على نفسها وأمرت نفسها فى أصرار وعزم .. « أنظرى الى بوادر فصل الصيف .. أنظرى الى الازهار الجديده ان اللون الأبيض فى سبيله للنضج على شجر الزعرور البرى وكذلك هناك غشاوة رقيقه على أعشاب الجريس الزرقاء »

وبين الاشجار الكثيفه كانت هناك بوابه تؤدى الى ممر المشاة الذى يتجه نحو المستنقع . هناك كانت نزهتها المفضله بالخيل .. ورفعت يدها فى عجله الى عينيها محاولة أجبار نفسها على إلا تتذكر المكان والزمان والذكريات المتعدده .

ما زالت العمه كارول جميله كما هى بعينيها الزرقاوين وشعرها المتموج ولا تزال تتمتع بهذه اللمسة البوهيميه المتمثله فى شالها وثوبها المهرولين .

جاءت كارول بجانبها وعانقتها بقوه قائله :

– أنه لأمر عظيم أن اراك ثانيه يا عزيزتى بعد كل هذا الوقت .

وجهت اليها كارول هذه الكلمات وهى تمعن النظر فى وجهها المهموم وأضافت:–

– إنك تبدين منهكه وهذا أمر طبيعى . أعتذر لك عن عدم استطاعتى الحضور مبكره يا عزيزتى .. من المؤكد انك متعبه للغايه فقد حملت على عاتقك القيام بكل الترتيبات واعتقد انك يجب ان تنفردى بنفسك لفترة بدلاً من أن تصحبى الجميع اثناء العودة الى « هيل ميد » من أجل الاجتماع التقليدى .

كان صوت فرانشيسكا مختنقاً ولكنها تماسكت واحتفظت بهدوئها وهى تجيب .

– لا ... ان كل شىء على ما يرام . انا ايضاً سعيده جداً برؤيتك . فقد افتقدتك كثيراً ... هل كانت رحلتك مريحه ؟

أجابت كارول بصوت خفيف ..

– نعم .. اذا نحينا أعمال الطريق التى لا تنتهى جانباً إننى أشعر بأسى لأن أحداً لم يبلغنى بمرض كليف ، أعلم ان أباك قد اعتكف تقريباً عن العالم منذ وفاة « آن » وأعلم اننى وأباك لم تكن على وفاق منذ ان قمت ببيع « لى بارتون» ولكن كان عليك الا تعبأى بذلك كله وتتحاملين على نفسك . كان عليك أن تخبرينى »

– «انا جداً أسفه ولكن ابى لم يسمح لى بأخبار احد ولم استطع مخالفه رغبته وعلى كل حال فقد كانت حياته وكان اختياره »

تنهدت كارول وهى ترد بالايجاب بينما تعيد بيديها خصله من شعرها يكاد يميل لونها الى اللون الرمادى رغم انها فى نهايه العقد الخامس . وبدا الندم على عينيها وهى تقول :

– على الرغم من انى كرهت الا اكون على وفاق الا أن الامر قد انتهى فهو ليس معنا الآن ولن يمكننا حل الخلاف ، ولكن مع ذلك لم يكن بيع لى بارتون هو الأمر الوحيد الذى أغضبه فلنقلها صراحه . لم يرتح والدك أبداً الى فكره زواج أخيه بى »

رفعت كارول يدها لتواجه محاوله احتجاج من فرانشيسكا وواصلت حديثها قائله :

– « فرانشيسكا لا تقولى شيئاً فأنا امرأة متوازنه وأؤكد لك اننى لا أحمل لأبيك أيه ضغينه وقد أنغمست فى نشاطى التعليمى وانتظار مكالمات سول بين الحين والاخر من أماكن غريبه بعيده وأعتقد اننى اخطأت بابتعادى عن الأخرين »

صمتت فرانشيسكا وهى تحدث نفسها ، عظيم ، وقد طفى عليه شعور بالخوف يفتر تارة ويمور تاره أخرى كلما لاحت المواجهه المحتوفه وبدت أقرب للوقوع .

كانتا تسيران ببطء فى اتجاه مدخل الكنيسه وكانت كارول تدير النظر فى مجموعات الاصدقاء والأقارب باحثه بينهم عن سول وهذا ما أدركته

فرانشيسكا . فأين سول ؟!

لقد شاهدته لآخر مره عندما كان واقفاً بجانب والدته بجوار القبر ورقتها تجنب نظرته الثابته المحدقه التى رماها بها من فوق رؤوس الجميع وبدون وعى منها أسرعت فرانشيسكا فى خطوها أفترقت عن كارول وتوجهت للبحث عن سيارتها اللاندروفر عبر الممر الضيق ووجدت سيارتها محاصرة من الجهتين جهه تحتلها سيارة رانج روفر خضراء لامعه والجهه الاخرى تحتلها سيارة فورد زرقاء باليه . وقد أدركت انها سيارة القس . وزاد ذلك من حنقها وقله صبرها .

فقد كان ضرورياً ان تعود الى هيل ميد قبل العمة كارول وقبل سول على وجه الخصوص على افتراض انه سيحضر الاجتماع التقليدى مع والدته . وبعد ان عجزت عن معرفه صاحب السياره الرانج روفر أسرعت الحظى فى اتجاه الكنيسه لتطلب من القس إبعاد سيارته واثناء اندفاعها اصطدمت بسول .. الذى ظهر فجأة فى مدخل الكنيسه فقال :

« مرحباً تشيس الى أين تسرعين هكذا ؟ »

كان الصوت العميق بنبرته المسطحه المطوطه مألوفاً لديها ... إنها تعرفه حتى ولو كانت معصوبة العينين حتى بعد كل هذه السنوات .

وقف سول أمامها وهو يزيد عنها فى الطول بحوالى ست بوصات وبدا لها اكثر طولاً مما كان وكذا اكثر سمرة .

ابتسمت فرانشيسكا وكانت ابتسامتها هذه بسبب وجود عدد من الفضولين وكانت ابتسامة باردة مجردة فى محاوله منها لاخفاء رد فعلها ازاء اقترابه منها .

« يا لها من مفجأة ساره .. مازالت جاء بك الى بيلد ريدج ؟ لا أحسب انك طرت كل هذه المسافه من الأرجنتين لأجل حضور جنازه ابى وحسب؟.

– فرانشيسكا اننى حزين جداً من أجل والدك .

قالها بعد ان نظر بعينيه الرماديتين فى وجهها لفتره متجاهلا هجومها الغليظ عليه ثم أضاف :

– لقد نما الى علمى مؤخراً انه كان مريضاً لسنوات لابد أنك مررت بفتره عصيبه .

أجابت باقتضاب واضح :

– « لقد تحملت وها هى الحياة تمضى »

– « عظيم ! اهذا كل ما تستطيعين قوله ؟ »

رفعت كتفيها فى استهانه واجتاحها احساس يزيف كل شىء تبعه إحساس متفجر بالغضب وتساءلت بصوت يغلفه البرود والهدوء .

– ما الذى تتوقع منى أن اقول لك ؟ هل تتوقع ان افتح لك قلبى حتى ولو كنا غرباء ؟!

رفع سول حاجبيه بشكل تهكمى أصاب وجنتيها بتورد وقال :

– هكذا تشيس غرباء !

خفق قلبها بشده وأطبقت أصابعها بقوه داخل جيبها فلم يكونا ابداً غريبين ولكن قد يصبح الأمر اكثر سهوله لو كانا غريبين بالفعل ، لم يكونا غريبين كانا أولاد عم بالنسب وحتى اربع سنوات مضت كانا متلازمين هذا التلازم الذى يفرضه قضاء سنوات العمر الأولى مع شخص ما .

كان سول بالنسبه لها هو الأخ الاكبر الذى حرمت منه كانت تؤله وتعبده تفتن بجاذبية وسحر ثقافته وتجاربه اللتان تختلفان جذرياً عن ثقافتها وتجاربها .

واعترفت .. لا لم يكونا غريبين وسيكتشف سول اليوم أمر « لونيا » ولكن هذا لن يغير من الامر شيئاً .. نعم لن يغير من الامر شيئاً .

تغيرت نظرة عينيه وحدتها بنظرة غاضبه ورأت رد فعله المضطرب بعد ان لمس درجه عداوتها ورفعت وجهها لتواجه نظرته وهى تحدثه

– «لقد كبرنا سويا ولكن كل شىء يتغير منذ اربع سنوات »

ورد بنبرة . لا يفهم مغزاها قائلا :

– إننا بحاجه للحديث فى هذا الامر .

خرجت « لا » من بين شفتى فرانشيسكا قاطعه اكثر مما كانت تنتوى

وتراجعت من جراء نظراته المتفحصه ولكنها أردفت :

– لا يوجد بيننا ما يستحق الحديث ما حدث وأنا لا أريد الحديث عن هذا الامر »

وطالت فتره السكوت ثم اتبعها بقوله .

– « لقد تغيرت ربما تكونين قد كبرت أخيراً »

– يا لها من ملاحظه تستحق الثناء (!) اعتقد أن معظم الناس يكبرون بشكل مناسب بين الثامنه عشره والثانيه والعشرون .. ربما ! ولكن فى حالتى كانت هذه السنوات مؤثره فى تكوينى » كان ينظر اليها دون ان يفقد أعصابه وتجنبت تشيس هذه النظرة بأن قلدتها فأخذت تتفحص مظهره بكل ما اوتيت من هدوء ... البدله الثمينه والقميص وربطه العنق الحريريه والحذاء الفاخر وكان صوتها بارداً وخرجت كلماتها بشكل لا إرادى من أعماقها بشراسه لم تدرك قبلاً انها تكمن بداخلها . اذ استطردت :

– نعم على الاقل أنت تبدو وكأنك قد تخليت أخيراً عن هواجسك الغجريه ..

– لقد ظننت أنك أنت صاحبه الهواجس يا تشيس

جاءت كلماته مقاطعته فى صوت هادىء ولكن كانت هناك لمسه حذر فى عينيه وكأنه شعر بأنه فى حرب وهو يتخذ موقعه لرد »

رفعت تشيس كتفيها باستهانه وقالت وقد لاحظت التسريحه اللندنية الفاخره على شعره الداكن .

لقد لقد هذبت شعرك ، وجمعت أجوله من المال من عملك كقاتل وأجور فى ملعب البولو ، واشتريت بعض البذل الجاهزه وتخلصت من القرط الذهبى ومن المفترض أنك الان عضو متميز فى « جورجيو » - مجتمعنا الكريه - فهل يفترض أن اكون متاثرة ومغرمة بكل ذلك ؟!!

مضت ثوان ظنت فيها أن سول سيفقد شعوره ولكنه ألقى بها فى غياهب الحيره .. لقد ابتسم ابتسامه عريضه مغلفه بهذه الجاذبيه الحزينه التى تتذكرها جيداً منذ اعوام مضت ولم تقدر على الحملقه فى وجهه

وضمت شفتها السفلى بين اسنانها وهى ترى التحول الذى احدثته هذه الابتسامه الأخاذه ، وقال بنعومه :

– «ابدا يا تشيس لست مطالبه بالتاثر على الاطلاق »

وساد صمت مشحون وشعرت ان جسدها كله بدأ فى الارتعاش بحذر تحت تاثير النظره الضيقه الساخره ، تساءلت فى نفسها بحيره ما الذى يجعل له هذا التاثير الكبير عليها ؟ لم يكن السبب بالطبع هذه التركيبه الفعاله لعينيه الرمادتين وبشرته الداكنه .. انه شىء آخر فريد فى شخصيه سول .. أهو دمه الغجرى ؟ الرومانسيه الغجريه لأسطوريه بكل ما تحمله من خيال وشعبيه .

ابعدت الخاطر عن رأسها فهناك دلالات عديده مهمله من الماضى ترتبط بهذا التفسير ، ايكون السبب هو انطباع القوه الساخره اللاذعه ؟ نعم هذا هو التفسير وأكدت ذلك لنفسها فمعرفه الذات هى أول خطوه نحو حمايتها . لقد بدا سول وكأنه رجل عرف كل مسائل الحياه الصعبه ووجد اجابات لها دون أن يبذل جهداً كبيرا . وكان هذا ستاراً حاجباً فلا يوجد من يتمتع بقسوة القلب والاهتمام بالذات قبل سول وفى نفس الوقت يمكنه ان يكون حكمياً وقوياً كما تخيلته هى نفسها بسذاجه فى يوم من الأيام .

– فلتسمع لى ، على ان أذهب للبحث عن القس فسيارته تعترضه طريقى

حاولت المرور من جانبه لكنه أوقفها بحركه سريعه قويه اعاقتها عن المرور وكانت حانقه من قبضته الشديده على ذراعها .

– قد يصبح الامر أسهل لو حركت أنا سيارتى الرانج روفر .

– « لقد تعمدت إعاقه سيارتى ».

– « اهدئى ، الوقوف بهذا المكان الضيق يستلزم التصاق السيارات وقد لاحظت سيارته وظنت اننا يمكن ان نغادر المكان فى نفس التوقيت »

– « أوقد فعلت ذلك حقاً ؟»

قالت ذلك وهى تأخذ نفساً عميقاً وقد وصل رد فعلها الى مداه

واستطردت

- حسناً يبدو انك كنت على حق ربما ان والدتك قد توجهت بالفعل الى هيل ميد فيجدر بى ان ادعوك بشكل رسمى لحضور الاجتماع التقليدى ولكن بحق السماء لا تشعر انك ملزم بالحضور فانا متاكده ان أحداً لن يعارض عودتك الى ملعب البولو دون تأخيرا !

- هل هذه رساله واضحه وصريحه بأن قد ومى الى بيلدريدج اوغير مرغوب فيه ؟

بدا سول هادئاً متعقلاً ، ولم يكن هناك ما هو اكثر اثارة وغيظاً ما شعر به بداخلها وقد أشعل هدوئة غضبا اكثر من ذى قبل »

- « دعنى اذهب »

قالتها وهى ناقمه على نفسها من خوفها وضعفها ومن زاويه عينيها لمحت شعر سارة الأشقر يتيماوج مع النسيم كانت سارة تقف مع انجس وبعض الاصدقاء مستغرقين فى الحديث على عدة أمتار وكانت فرانسكا واعيه لنظره ساره الواسعه الموجهه بفضول فى اتجاهها .. فقال سول :

- الأن بعد أن انتهى دور والدك كحارس غيور على سمعته واحترام عائلتكم من المؤكد اننا نستطيع أن نكون متحضرين تجاة أحدنا الأخر »

اندفعت الدماء فى وجهها ثم هدأت فجأة ورددت

- متحضرين تجاة احدنا الاخر ، بالطبع انا متاكده أننا سنتدبر ذلك ولكن من فضلك أترك ذراعى واذا كنت قد نسيت فهذه هى جنازه ابى ولا اعتقد انه وقت مناسب للتصريح بهذه الملاحظات الزائفه »

ترك ذراعها ببطء وخطت تبتعد عنه ونظرت نحو اصدقائها فوجدت انهم غادروا المكان تجاه السيارات فمن الواضح انهما كانا بعيدين عن مرمى السمع وكانت لفه الاشارة كافيه لتوضيح السيناريو المفعم بالشاعر الذى دار بينهما

ووجهت فرانشيسكا نظرة حانقه نحو سول واتجهت مسرعه نحو سيارتها وكانت مدركه تماماً أن خطوات سول السريعه كانت كفيله بأن

تجعله يسير بمساواتها

ووقف بجانب سيارتها وسألها :

- ما هى خططك بشأن الاسطبلات ؟ هل ستبعينها ؟

رمقته بنظره تحد أجابت بسرعه :

بالطبع لن ابيعها لقد ظللت اديرها بنفس طيله ثلاث سنوات منذ مرض أبى .. فما الذى يدفعنى لبيعها ؟

- لقد نما الى انك تمرين بضائقه ماليه »

- سأجتازها ، فلدى خطط محددة بشأن الاسطبلات وهى خطط فى رأسى منذ فترة ولكن لم استطيع تنفيذها بسبب .. بسبب صحه والدى »

كادت أن تقول بسبب معارضه والدها ،لكنها آثرت عدم الاعتراف بذلك فى الوقت المناسب وأضافت بحسم :

- « اننى لا أحتاج ايه مساعده او نصائح منك فليس هناك ما يمنعك من العودة الى لعبتك والى هؤلاء الشقراوات اللائى تحافظ على آخذ الصور الفوتغرافيه معين على صفحات المجلات »

- تشيس ! لماذا كل هذه القسوه ؟ هل ترى اننى ارتكبت خطيئة لا تغتفر؟

حملقت فيه بغضب وسرعان ما هدأت انفاسها بعد محاوله منها لتكون هادئه

لم تكن خطيئه سول مجرد اهمال او لا مبالاه !

ولم تكن على استعداد لأن ترضيه ، لأن تقول له عن مدى الايذاء الذى سببة لها بعدم مبلاته طوال هذه السنوات الاربع انها لم تفهمن مغزى تصرفه هذا .. غيابه بالخارج ، انغماسه الكامل فى لعبه البولو لقد كانت على وعى بكل هذا فلماذا الشعور بالانخداع ؟ انه امر مناقض للمنطق تماماً .

- « أننى أفضل الاستقلال »

- الاستقلال ؟ ، انت تفضلين الاستقلال ورغم ذلك فقد ظللت كل هذا

الوقت آمنه فى هذه الحاميه الصغيره ...

- « كان يحتاجنى بشده »

- نعم كان والدك فى حاجه إليك واعتقد انه كان يذكرك دائماً بهذا اليس كذلك؟»

توترت فرانشيسكا وجلست بهدوء على عجله القياده وهى تنظر اليه ببرود قائله :-

اتأذن فى تحريك سيارتك وسأراك لاحقاً فى هيل ميد» اغلقت الباب بقوه وهى تستطرد فى برود.

إذا كنت لا تزال تتذكر الطريق »

وانطلقت فرانشيسكا بسيارتها بينما وقف سول يتبعها بنظرة وهى تختفى على الطريق .

وصلت فرانشيسكا الى المنزل القت بمعطفها وأخذت تساوى شعرها بأصابعها وجاءتها مديره المنزل السيده برنس وهى تنطلق عبر البهو وهى تحدثها

- انها نائمه بأعلى وقد سمحت لها إيلين بأن تصطحب الكلب ، لقد تأثرت بشده »

- اعرف ذلك ولكن لديها احساس بالموقف فهى تدرك أن جدها ليس بيننا الان واعتقد ان هذا هوسبب اصرارها على بقائك معها ظهر اليوم »

- انا لم استاء كثيرا فلا تزعجى نفسك يا عزيزتى والحقيقه اننى لست من محبى حضور الجنازات ، لقد كان والدك عزيزاً على قلبى ، ولكن اذا كانت فائده وجودى هنا اكبر للعنايه بالصغيره فهذا يريحنى بشده .

- « شكراً اننى ممتنه من رعايتك لها انت تعلمين انها مغرمه بك حقاً »

- انه شعور متبادل .. انك تبدين منهكه يا حبيبتى ، اذهبى واستريحى بغرفه المكتب وسأحضر لك الشاى وبعض السندوتشات وسأعتنى بضيوفك.

كادت فرانشيسكا ان تعترض ولكنها ادركت انها فى حاجه لتستريح

لفتره وانتقلت الى غرفه المكتب حيث جلست لفتره تراودها ذكرى أبيها وأمها وشعرت بالحنين اليهما ولكن شدت الاصوات انتباهها .. لقد وصل سول ، انفتح باب الغرفه وظهر سول يحمل صينيه عليها خبز ساخن مفروش بالجبن وزجاجه من النبيذ الاحمر .

انتفضت فرانشيسكا واقفه وبدأت حديثها ببرود بينما يضع سول الصنيه على المنضده بجانبي المدفأه .

- « أن بقيه الضيوف يجلسون بغرفه الاستقبال وأنا أفضل البقاء وحدى»

- لقد فكرت فى انك كنت وحيدا لفتره طويله وهناك أمور يجب ان نتناولها فنحن لم نر بعضنا البعض منذ وقت طويل »

واضاف وهو ينتزع سدادة زجاجه النبيذ -

- « اننى اتذكر انك تحبين النبيذ الاحمر »

« نظرت اليه متأثرة بهيئته وزيه الفاخر ، ورفع عينيه لتلتقى بعينيها فجأة وابتسم فى حزن وقال لها :

- « تشيس أنك تبدين فى حالة سيئه »

- لقد كنت أفكر فى أننى نادراً ما رأيتك ترتدى بذله فقد اعتدت ان ترتدى الحذاء الليفايز البالى والصيديرى الجلدى »

قالت ذلك دون اهتمام ولكن الواقع انها كانت تشعر بداخلها أنها مهتمه للغايه ، فهذا السحر الرقيق الذى طالما قاومت لتزيحه عن ذاكرتها بدا حباً مشتعلاً تمنت ان تجرى هاربة خارج الغرفه أو أن تصرخ فى وجهه ليخرج ولكن حنجرتها أبت ولم تقو ركبتاها على الاستجابه .

أعترف سول بحزن وهو يناولها كأساً :

- « لا ازال اكره البذل »

- « لحسن الحظ انك لست مضطر لارتدائها كثيراً فأنا اتخيل أنك تقضى معظم أيامك على جوادك مرتدياً لباس الفروسيه الابيض والبوت البنى وبالمناسبه الم تحصل على جائزه سباق التكافؤ بعد ؟

- « لست واثقاً من أننى سأفوز بها »

- « حقاً !! ان الحديث يدور حول نجمك المرتفع وذلك على صفحات ابواب التميمه التى اعتادت نشر اخبارك بشكل منتظم وعمل أم تعتقد ان سن السادسه والعشرين يعتبر مسناً فى لعبه البولو ؟

كانت كلماتها وقحه بشكل متعمد وكانت تترك ذلك وكان ذلك بالنسبه لها ـ كالعادة ـ دفاع عن النفس .

نظر اليها نظرة ساخرة ثابته سببت تورد وجهها وقال :

- « هناك امور عديدة فى الحياه غير لعبه البولو »؟

- « قبل ماذا ؟»

كان سول يحاول الا يستفز مسألها

- « ما رأيك فى النبيذ ؟»

- « على ما يرام »

- انه نوع جيد وهو النوع الذى كنت اعجب بوالدك لأجله ، اختياره فى الخمور »

- « لم يكن ابى يعجبك فى شىء لقد كنت تمقته »

- « كان شعورنا متبادلاً »

- سول اننى لا أدرك لماذا كلفت نفسك عناء الحضور اليوم وفى يقينى أنه كلما سارعت بالانصراف كان أفضل واذا كنت قد حضرت للتشفى ....

- « تشفى !! أى نوع من الوحوش المخيفه تظنينى ؟»

- « أسفه .. ربما كان كلامى قاسياً

ساد بينهما سكون يحمل مشاعر وأفكار صامته ، كسره سول بقول :

- « فرانشيسكا أيا كان تفسيرك للماضى فأن كلمه « مقت » كلمه قاسية للغايه . لقد شعر والدك انه مهدد من قلبى وكان هذا هو سبب كل العداء الذى كان بيننا »

وتعجبت فرانشيسكا من مقدرته على أن يكون هادئاً ومنطقياً »

- « فلنشرب نخب والدك »

لم تكن هناك مسحة سخريه فى عينيه وكانت تنظر اليه وهو يكمل حديثه :

- « لنثبت ان كلانا قد نضج خلال هذه السنوات الاربع إلى الوالد الذى احببته كثيراً يا فرانشيسكا احتفالاً بالاوقات السعيده التى عشناها سوياً »

لمس الاخلاص المفرط فى الصدق الذى بدا فى مشاعره أوتارها ، رغم عدائها . كان له تأثير اكبر من كلمات الرثاء والعطف التقليدى لقد احست بصدق سول . حملقت مرة أخرى وظلت هكذا لفتره قطعها بقوله :

- « لماذا لا تأخذين شريحه خبز ؟!!»

- اشكرك لست جائعة

- « إذن بعض النبيذ انه يجلب الشفاء »

- « الشفاء انا اعتقد انه لا يجب علينا مساواة خمر أبى التى تعد ثروة بزجاجة دواء للسعال »

وفى محاوله لالتقاط انفسها المتلاحقه تناولت جرعه بشكل لا يليق بسيده وأبعدت عينيها ، تجمعت الدموع الساخنه فى عينيها مهدده بالانحدار على وجهها

- « فرانشيسكا »!

كان صوته يحمل نبرة اخضاع ولم تعرف أهو يريحها ام ماذا وكانت تجزع من اكتشاف الحقيقه . لقد كان الماضى قاسياً مليئاً بالالم اهو الم سببه هو لها ام الم سببته لنفسها .. لم تكن واثقه .

أمسك يدها وكان لوقع قبضته الباردة على أصابعها نوع من الاحساس الغامر موجه طاغيه من المشاعر انستها الماضى والمستقبل وآذابتها فى حضم اللحظه .

أقترب منها اكثر وبعد ذلك روعها ماحدث فى هذه اللحظه الغريبه التى لم ترغبها ولكن بدلاً من أن ترتد فى احتجاج بسطت راحه يدها فى

استسلام تام وتشابكت أصابعها حتى شعرت بنبض واثارة على معصمها وهمست:

- « سول .. سول اننى ..

وأيا كان ما قالته فى هذه اللحظه المفعمه بالمشاعر فقد أنهته الضوضاء القادمه من الخارج توسط أصوات العمه كارول والسيده فرنس وإيلين ظهر رفيع عال مصحوب بتشنجات البكاء

- « أمى ....أمى اريد أمى »

أنفتح الباب وظهرت ايلين المربيه الصغيره ذات التسع عشره ربيعاً ذات الوجه الوردى والشعر البنى الناعم تمسك من وراءها بفتاه صغيره ترتدى فستانا أحمر ومعطف أصفر عليه صوره دب .

ادارت الطفله عينيها فى المكان وتركزت على فرانشيسكا مع احساس بالظفر فقالت :

- أمى !

جذبت فرانشيسكا يدها من بين يدى سول كما لو ان النار قد اصابتها والتفتت عنه جثمت على ركبتيها وارتسمت على وجهها ابتسامه براقه لتحيه الطفله وقالت :

- « حبيبتى .. لوينا .. تعالى إلى »

ووسط نظرات الذهول من عينى كارول وسول اندفعت الفتاه والقت بنفسها بين ذراعى فرانشيسكا المفتوحين .

الفصل الثاني

المالك الجديد

لم تنم فرانشيسكا جيداً هذه الليله ، كان اليوم يموج بالمشاعر لوفاه والدها ولكن الاحداث التى شهدتها فى هيل ميد بعد الجنازه قد انتجت اسوأ تركيبه يمكن ان تصيب الانسان

« جسد مرهق وعقل مشتعل ! »

وفى غرفتها جلست تستمتع الى صوت الرياح تعصب بالاشجار وشعرت بسخونه اخذت تزداد حتى خلعت ملابسها وارتدت ملابس النوم ثم جلست على كرسى كبير وكان شعرها يلتف حول رأسها مثل المروحه .

شعرت ان معدتها مضطربه وكان من المستحيل ان تشعر بالراحه فبعد اربعه سنوات طوال .. ها هو سول ينام فى غرفه الضيوف عبر الممشى وقد التزم صمت خط ومتفجر بخصوص لونيا .

ارتجفت وهى تتصور رد فعل سول وزادها رعباً عزوفه عن التعليق انها تعلم ان الغد سيشهد الاستجواب الحتمى ، كان السبب الوحيد لتأجيله ليله امس هو خليط ما بين تحكمه الحديدى فى النفس وتأثير العمه كارول .

كانت المشكله أنها تعرفه جيداً .. قد يكون مغروراً او مغتراً بذاته الا انه لا يقدم على اشعال مشاجره امام طفله لا تتعدى الثالثه من العمر .. ولكن ما انذر بالسوء ويعثها على التشاؤم هو قبوله عرض السيده برنس بالمبيت لهذه الليله بدلاً من العوده الى بيركشير .

سرت ارتعاشه فى جسدها فجذبت الغطاء وذهبت بتفكيرها الى اتجاه

جديد مختلف الم تكن تنتظر الكثير من وراء رد فعل سول ؟!..

لقد جال بخاطرها فجأه ان قرارها الذى اتخذته منذ فتره بعيده بالا تخبره بأمر لونيا قد نحت من خيالاتها عن رد فعله اذا علم او عن مشاعره نحوها .

هل اثبت سول انه ابن العم المحبوب ؟ انه لم يول حياتها اى اهتمام لمده اربع سنوات وقبل ذلك القى عليها بعض الكلمات القاسيه كلمات لن تمعى فى ذاكرتها طالما بقت على قيد الحياه .

الم يكن من المحتمل الا يهتم بالا مركله ؟...

اراحها هذا التفكير وعذبها ، ووضعت رأسها على الوساده محاوله اراحه نفسها من هذه الافكار المحيره .

كانت المشكله ان الماضى نفسه يحير كانت تسير بينها وبين سول بشكل غير هادىء وغير رشيد ، كانت تتأرجح بين النقيض والنقيض - الحب والكراهيه ، كانت هناك عمه تنافس غامضه بينهما ، وكانت عبادتها المتواصله للبطل فى شخص سول - كانت تتأثر دائما بغضب والدها .

كان سول فى نظرها مثيراً ومختلفا تتجمع فيه قوى سحريه وحكمه فريده . وحين كان طفلا كان بمثابه الاخ الاكبر والصديق وابن العم فى آن واحد . وكانت تقطر اعجابا بوالدته ، العمه كارول بروحها شديده المرح وافكارها الغريبه .. ثم تدهور علاقتها بها بعد ان رحلت بعد وفاه والدى فرانشيسكا .

وعلى العكس منها كان والدها ينظر الى سول نظره متشككه كدخيل غير مرغوب فيه فى عائلتهم .. كان والدها يكره كارول بسبب حماقتها ليس فقط بشأن حملها نتيجه علاقه رومانسيه قويه مع واحد من الغجر الذين كانوا يمرون على بلدتها اثناء تجوالهم ولكن ايضا انها كانت طائشه لدرجه انها اصبحت زوجة لهذا الغجرى . لقد ضاعف من غباء تصرفها . انها كانت امرأه على قدر عال من الذكاء فقد كانت متخصصه فى الانتربيولوجى وكانت تقوم ببحث عندما قابلت حبيبها الغجرى . ولم يكن

فشل هذا الزواج مفاجأه لوالد فرانشيسكا ولكن كانت المفاجأه بالنسبه له هى زواج اخيه الاكبر هارى الذى يحترمه كثيراً بامرأه لديها طفل عمره عام ، امرأه كانت مراسم زواجها السابق ، كما كان يؤكد ، عباره عن احتفال خاص على نظام الغجر دون التقليد بالشرعيه التى تفرضها قوانين البلاد فكان هذا الزواج بالنسبه له القش التى قسمت ظهر البعير فكان لذلك يكره تقرب سول منها وكان يطلق عليه « الغازى الغجرى »!

كانت تشعر بالذنب تجاه العمه كارول ، كان كتمان الامر عن سول رد فعل عكس وكان كتمانه عن كارول امر حتمى ولكنه مؤلم ولكى تضمن ان سول لن يكتشف الامر عند عودته الى هيل ميد بتساؤلاته واحكام وتدخله فقد منعت نفسها من البوح للانسانه الوحيده فى هذا العالم الذى طالما تاقت للبوح لها بكل شىء الانسانه التى كانت سماحتها وشفافتيها تكفى لمساعدتها كثيرا عمتها كارول .

تأملت فرانشيسكا كثيراً عندما تذكرت حاله عمتها اثناء العشاء . لقد كانت متأزمه للغايه ولكنها كانت حريصه على الا تظهر ذلك . ففى الليله الماضيه عندما غادر بقيه الضيوف وذهبت لونيا الى مخدعها جلس ثلاثتهم فرانشيسكا ، وكارول ، وسول لتناول العشاء ..

ظل سول صامتا ولم يكن يمكن لاحد قراءة مشاعره وافكاره بينما تبادلت هى وكارول حديثا ودياً حول الرعايه الضروريه بالاطفال ومعنى ان يكون هناك احد الابوين دون الاخر وما الى ذلك ولكن مع هدوء سول المنذر بالسوء واسهامه النادر فى الحديث بدأ معه من المستحيل ان تصرح بما ارادت وعندما اعلنت العمه عن رغبتها فى النوم ، سارعت فرانشيسكا هى الاخرى فى تصرف غير شجاع بالانسحاب . الى غرفتها فورا حرصاً على تجنب مواجهه سول .

كانت هذه اطول ليله فى حياتها وأسوء من هذه الليالى التى كانت تتوق فيها الى كلمه من سول يعبر بها عن مشاعره ، تتلهف على مكالمه تليفونيه الى خطاب لم يصل مطلقا .

لقد صارت الدقائق ساعات ومضى عقلها المرهق يبرر ويحلل ويضع الاسباب . ويرتعد

لم تعى فرانشيسكا هل نامت لبعض الوقت ام لا ولكن عندما اعلنت الساعه الخامسه والنصف صباحاً تركت فراشها وذهبت لحجره لوينا واطمئنت عليها ثم توجهت الى الاسطبل بادئه العمل تدفعها رغبه فى الهروب من المنزل قبل استيقاظ سول ووالدته .

واطمعت الخيول وتخيرت جواد ابيها الاثير وامتطته وانطلقت به حتى وصلت « لى بارتون » تراودها ذكريات الماضى حول البيت الذى كانت تملكه كارول واسباب بيعها اياه . كانت هذه القصه مؤلمه لفرانشيسكا فهى تذكرها بفتره طفولتها وبدايه حبها للخيل واشتراكها فى المسابقات المحلي، انها تذكرها بكل كلمه كانت تنطق بها شفاه سول الذى كان يرى الحياه بمنظور واسع معبراً عن اعجابه بتعبير « جورجيون » وهى كلمه يستخدمها الغجر للتعبير عن كافه الشعوب التى لا تسرى فيها الدماء الغجريه فقد كانوا يظنون انفسهم ارباب هذه الارض وقالت فى نفسها « ياله من مغرور » لقد كانت دائما تختار فيمن هو اكثر قسوه من الأخر ابيها، ام ، سول جالاجر .

ولكن تلك الايام تبدو لها اياماً سعيده الان لقد تغيرت حياتها تماماً منذ ان صارت فى الاربعه عشر ففجاه ودون سابق انزار فقدت كل من تحب ، ماتت امها وتبعها عمها « هارى » ثم رحلت العمه « كارول » «وسول » حدث ذلك فى تتابع سريع .

تابعت نظرها الى « لى بارتون » وتتابعت ذكريات اخرى فى رأسها ، لقد بيعت « لى بارتون» الى رجل اعمال كان يستخدمها كمنتج ريفى فى العطلات وقد افلس هذا الرجل وباعها مؤخراً ، ولكن من هو المالك الجديد، تساءلت فرانشيسكا فى نفسها من هذا الذى احدث كل هذه التطورات الشامله فى البيت خلال الشهرين الاخرين ؟.

لقد تم اصلاح كل شىء بالمنزل داخله وخارجه ولكن شخصيه المالك

مازالت مجهوله رغم ان اخر الشائعات تقول ان أمرأه شوهدت تقول سياره يابانيه الصنع لها تليفون كانت تزور المكان .

وعادت ادراجها الى هيل ميد قد لا تكون قد حلت اياً من مشاكلها الخاصه ولكن على الاقل شعرت بانها صارت اهدأ مما كانت عليه لقد اعطاها الهواء النقى وتمطى الجواد قوى عند ما فكرت فى انها ستواجه سول على الافطار .

كان الافطار معداً عندما دفعت الباب . ودخلت الى المطبخ الكبير وفوجئت بمشهد فى غايه الألفه اوقفها بلا حراك لثوان قليله / مذهوله ومشتته ، كانت لوينا الصغيره مستغرقه فى حديث مع سول وهما ياكلان التوست والمربى ويشربان القهوه وكانا يجلسان كما لو انهما اعتادا الافطار سويا منذ زمن ولاحظت ان ايلين المربيه قد بدت متأنقه على غير عادتها وقد علقت نظرها على كل كلمه تخرج من سول .

– « صباح الخير »

القت التحيه وقلبت صغيرتها وداعبت كلبها الصغير ولم تلق بنظرها الى سول . واردفت موجهه الحديث له :–

– اسفه لكونى مضيفه سيئه . هل وجدتم كل ما تريدون على الافطار؟

اجابتها الصغيره بجديه وذلك لاحراج المربيه

– لقد احرقت ايلين التوست مرتين ولكن سول اعدها لى كما احبها

همست الفتاه فى خجل :

– اسفه .. لقد تحولت عنها لاشياء اخرى .

وقالت فرانشيسكا فى نفسها « اراهن » وهى تشاهد ايلين تحاول جذب انتباه سول وهى تصنع الخبز فى التوستر ثم قالت :–

– لا عليك ، فاحراق التوست ليس بالامر المهم ، وبالمناسبه اين كارول؟

– امى اخذت افطارها الى حجرتها

واستدارت فرانشيسكا نحوه وهى تشعر بالذنب قائله :–

– اليست على ما يرام ؟.

– انها بخير ، فقط لم تفهم جيداً ... لو تحدثنا فى ذلك اعتقد اننى شهدت ليالى افضل كثيراً .

– « الم تكن مرتاحاً »

– كان هناك ما يجول بخاطرى

ساد صمت للحظات ونظرت فرانشيسكا الى الساعه ثم وجهت الحديث لونيا قائله :

– حان وقت تنظيف اسنانك والتوجه الى اللعب فموعده اليوم

تحركت الصغيره من فوق مقعدها ثم ترددت ونظرت الى سول فى تساؤل :–

– هل ستظل هنا متى اعود ؟ اريد ان اريك كيف استطيع ركوب الجواد بمفردى .

سدد سول نظراته الى فرانشيسكا ثم اجاب ببطء

– « نعم ساكون هنا »

– « هائل » .. قالتها الصغيره وهى تثبت مرحاً . ثم خرجت وتبعتها ايلين وساد الصمت مره اخرى لا يقطعه سوى صوت الكلب « سبابك » وهو يرتشف الماء .

وتحدثت فرانشيسكا راتباتا على الكلب « سبابك » وهو يرتشف الماء .

التوتر الذى احدثه سكون سول امامها ثم سألته :–

– اتريد المزيد من القهوه ؟

– اشكرك

– بعض التوست ، وساضمن لك الا احرق

– « لا »

– سأخذ اذن فنجانا من الشاى الى كارول باعلى . هلا سمحت لى !

– ابق مكانك يا فرانشيسكا . يجب اننتحدث سويا .

– اذا كان هذا بشأن الاسطبلات فانا سعيده بالعمل وحدى

– يصدمنى انك سعيده وانت تقومين بكل شىء بمفردى . ام انك قد

تناسيت ارتداء خاتم زواج ، .. صمت للحظه ثم اكملت ساخرا

– ام هل ستخرجين زوجاً هذا الصباح مثلما يخرج الساحر الارنب من القبعه؟

– كيف تجرؤ على ان توجه لى درسا فى الاخلاق ؟ ليس هناك ما تتحدث بشأن ، انها حياتى ولى مطلق الحريه ان اعيشها كيف اشاء .

– انك تعلمين جيدا ما الذى يجب ان نتحدث فيه ام ان وجود لونيا شىء لا يستحق فى رأيك ان نتناقش بشأن . هل انت بهذه الانانيه متى تضعى خيولا واسطبلاتك فى مرتبه اهم من ابنتك .

– ان هذا لا يستحق الاجابه عنه ولكن ما يستحق ان انكرك به هو ان العلم قد تحرك فى اتجاه احترام مساواه الرجل والمرأه اننى ارفض ان تلقى على بالذنب لاننى ام وحيده اتكسب رزقى ، وبالنسبه لتولى شئونى بمفردى فقد فعلت ما رأيت انه لصالح لوينا ، اننى اعلم ان الطفل محتاج لابوين ولكن الامر يعتمد على من هما هذين الابوين .

– وهل والد لوينا ليس على المستوى اللائق ؟

– لم يكن والد لونيا مهتما بدوام العلاقه

– اذن تعرفينه ؟

– بالطبع اعرفه .. ما هذا السؤال الاحمق .

– أننى فقط استعيد الموقف . كان هناك العديد من الخطاب المتحمسين فيما حولنا كان ذلك فى اخر مره زرت فيها « بيلد ريدج » ولكن يصعب تحديد هذه الامور فى بعض الاحيان

– ما الذى اعطاك الحق لتتحدث الى هكذا ؟ لقد مضينا فتره من الوقت سويا ونحن طفلين ولكنك لا تمثل شيئا بالنسبه لى وانا لا امثل شيئا بالنسبه لك فانت لست شقيقى ولست حارس ولست حتى ابن عمى واذا افترضنا انك صديق ، فالا صدقاء لا يختفون لاربع سنوات دون ان يرسلوا حتى بطاقه معايده فى الكريسماس فكيف تجرؤ ان تعود الى « بيلد ريدج » وتلقى على محاضراتك ؟!

– لم اكن انو القاء محاضرات ولكن اظن ان لى الحق فى ان اسأل بعض الاسئله .

– ليس لك الحق فى اى شى .

– اكانت فكره والدك الا تخبرينى او امى بأمر هذه الطفله ؟<

– ماذا تعنى بحق السماء ؟.

– لقد بدأ لى ان الامر مدبر لابعاد هذه الدماء الغجريه عن شؤون عائله اوبين كوسيله للثأر والانتقام ، انها وسيله قاسيه مستحدثه .

– ما هذا الهراء الذى تتحدث عنه ، انك تتحدث كما لو اننى كنت تحت سلطان ابى .

– الم تكونى كذلك ؟

– لا واعتقد انك قد تجد سبباً يصعب تصديق ذلك ، ولكن انا الذى عقلى وتفكيرى الخاص واستطيع اتخاذ قرارتى .

– اذن لماذا لم تجزينى ؟

– لقد اخترت ذلك

– لماذا ؟

اجابته بانفجار قائله :

– لانك لم تكن هنا ولأن هذا شأنى انا وليس شأن احد اخر – كيف يكون الامر شأنك وحدك وليس شأن احد اخر ؟ تشيس ان وجود طفل يحتاج لطرفين .

وتمنت لو ان تقذفه بشىء

وقبل ان ترد جاءت لوينا بسرعه الى المطبخ وهى تقول :

– اننى مستعده ، واردفت « لماذا تصيحين ؟

– لم اكن اصيح ، فقط كنت اتحدث بصوت عال

ردت فرانشيسكا بسرعه وهى تحتضن الطفله وعند ما ظهرت ايلين قالت فرانشيسكا للطفله :–

– هيا استمتعى بوقتك يا حبيبتى ، واذا اخبرتينى ايلين انك كنت

ومطيعه سيكون بامكانك ركوب « كوبر » عندما تعودين

– ساكون مطيعه

وانصرفت الفتاه مع ايلين وانطلقت بها سياره ايلين الصغيره واخذت تنظر وتلوح اليهما من خلال النافذه وعندما التفتت كان سول يقف وراءها عاجلها بقوله:–

– لماذا اسميتها لوينا ؟

– لقد اعجبنى الاسم

اجابت وهى تأخذ خطوه مبتعده عنه لتوسع المسافه بينهما وهى تضيف

– انه يعنى سعاده وتحدث بتفكير .

– سعاده ؟ ايعكس هذا شعورك بالحديث السعيد ؟ قد يكون الاب قد سبب لك الحزن ولكن طفلته جلبت لك السعاده .

– لوينا هى طفلتى وانا لا اتخيل الحياه بدونها ، اننى احبها اكثر من اى شىء من اى انسان فى هذا العالم .

– وهكذا تتركين لايلين الحامله مهمه توصيلها للملعب كل صباح ؟

كانت على يقين انها ستنفجر من الداخل وهى تقول :

– ان ايلين على كفاءه عاليه فى عملها هذا فى حاله اذا لم يقيم بمغازلتها لاعب بولو شهير اننى احتاج الى مربيه للوينا ، ليس لدى خيار فانا وجينا نقوم بالتدريب طوال الصباح فأن لدينا عرضاً شهريا على الاقل ويجب التدريب عليه ، وانا اشرف على قرابه سبعين جواداً ورغم ذلك فانا اتفاوض بشأن شراء بعض الاراضى هذه الايام . اننى لا اقوم بعمل هين ولا استطيع ان اترك كل ذلك واجلس فى بيتى على ماكينيه الحياكه .

قال سول فى احتجاج :

– اولا انا لم اكن اغازل مربيتك لقد كنت اتحدث مع ابنتك المسليه الرائعه . بينما بدت مربيتك معوقه وكأن قدميها الاثنتين يسار ، ويمتلىء حديثها بالتقطيع

– لا تكن وقحا هكذا . لقد توقعت ان تكون الفتاه قد انجذبت بفعل سحرك الغجرى .

– فليكن اهدئى ..

سببت ابتسامته الملتويه اثاره الغضب داخلها .. ولكنه استطرد قائلا:

– اعتقد اننى بدأت اعى الصوره كامله ، ان الحقيقه هو انك تمارسين اداره الاسطبلات انك ايضاً ذى قوه جباره .

– لا تتقمصى دور المتفضل بهذا الشكل

– انها اللغه مع بعض الملاحظات المؤثره هنا وهناك ، يجب ان يكون الاعتدال هو حكمه اليوم ، اليس كذلك ،

تنفست فراشيسكا نفسا عميقاً وبدأت فى تحضير ابريق طازج من الشاى وقد لمحت السيده برنس قادمه على دراجتها ، قالت ببرود وهى تخطو نحو الباب تحمل صينيه الشاى .

– انا صاعده لأرى والدتك ، واعتقد انك ستكون كريما وتخبر السيده برنس عن المده التى تنوى خلالها شغل غرفتى الشاغره فى الوقت الحالى ، فى الوقت نفسه انا مستعده لاستضافتك بشكل عادى ،ملائم

– صريحه جداً .

كان رد فعله كاف لما تلقاه من اهانه كبيره تحولت اليه موجهه اليه نظره مغلفه بكراهيه غير معلنه وهى تقول :

– يقوم الضيوف الذين لم توجه لهم دعوه باعمال اضافيه ، اننى واثقه من انك ستقدر ذلك .

– بكل تاكيد ولكن هل اذا قمت بترتيب سريرى وتنظيف اراضيه الغرفه هل ساكون قد وفيت بالدين ؟!

– لا تكن سخيفا ، ودعنى امر من فضلك .

– اذا كان هذا باختصار بمثابه طردى من هيل ميد اليوم ، فاننى اتشوق الى اعاده هذه المحادثه الحميمه التى جرت بيننا على الافطار .

صوب عينيه نحوها ، علا ايقاع انفاسها وتقلبت امعائها وحاولت

تجاهل هذه الرجفه التى سرت فى اوصالها وهى تقول :

– كف عن الحملقه فى بهذه الطريقه.

والتفتا على صوت انفتاح باب المطبخ ودخول السيده برتت وهى تلقى بتحيه الصباح ثم استطردت وهى تخلع معطفها :–

– لقد كنت اتحدث الان مع ماجى فى احدى متاجر القريه وكل الشائعات تحوم حول هذه السيده صاحبه العربه ولكن اتدرى ماذا قالت لى ماجى يا سيد سول . قالت انها تعتقد انك ان قد اشتريت « لى بارتون » .. مره اخرى

خط سول خطوه الى الخلف ليفتح الباب لفرانشيسكا التى تسمرت فى مكانها كأنها تجمدت وهى تحمل صينيه الشاى ثم اطلقت ضحكة صغيره وقالت وهى تلحظ التفكير على وجه سول .

– هذه اسخف شائعه روجتها ماجى فرنس

قال سول بهدوء وعلى وجهه شبح ابتسامه ساخره

– حسنا ، فى الحقيقه ... وقاطعته فرانشيسكا وهى تحملق فيه

– اهذا الامر صحيح ؟.. فاجاب بهدوء

نعم

– هل اشتريت « لى بارتون »

– اهو امر صعب التصديق لهذا الحد ؟

– بالطبع لا من الناحيه الماليه ، فالعالم كله لابد يعرف انك محمل بالاموال فى الوقت الحاضر ، اما من الناحيه السياسيه فقد صدمنى الامر لتحرك غريب وشاذ عفواً ... على ان اخذ هذا الى كارول .

تبعها سول الى البهو واغلق باب المطبخ وراءه وقال برقه

– هل افهم من ذلك اننى لست اهلا بالترحيب بعودتى لبلدتى

نظرت اليه ببرود وقالت :–

– لماذا تعتقد انت ، انا اعتقد ان اقتناء الممتلكات مثل امتلاك صكوك الاحتكار ، عند من هم مثل طبقتك الرفيعه ، فلديك قصرك الكبير فى بير

كشاير حيث تحتفظ بكل جياد البولو وكذلك واحد اخر فى مكان ما بجنوب فرنسا وبعض الاشياء فى اسبانيا .

اذن لماذا لا تضيف الى القائمه منزل ريفى من العصر الاليزابيث فى ديفون؟!

– معك حق ولم لا ؟!

– وفى نفس الوقت تستعيد ميراثك السابق وتثبت للعالم كله ان عدم انسجام الغجر مع المجتمع قد انتهى اخيراً ؟

ومرت فتره سكون . شعر سول انها اهانته بينما شعرت هى باحساس مؤلم تجاهه وشعرت ايضاً بالظفر ولكنه ظفر لم تسعد به مطلقا

قالت وهى تجبر قدميها على تحملها لتصل بها الى ضيفتها قبل ان يتجمد براد الشاى .

ورغم ذلك فانه امر مؤسف اذا كان ذلك للانتقام من ابى ، وبما انه قد مات فلن تنال مرادك استعرض ملكيتك العظيمه فى وجهه .

– لماذا لا تعاملينى على اننى اكثر نضجا من ذلك ، يصدمنى انك انت بافرنشيسكا تحمل ضغينه وليس انا .

انصرفت بعيدا فى محاوله لاحتواء مشاعرها وقالت بصوت متهدج :–

– على ايه حال انه بيت عائلى جميل لقد ظلت اتمنى ان يعود احد للحياه فيه مره اخرى لا ليجعله مجرد ممتلكات ترفيهيه يزورها مرتين او ثلاث سنوياً ويهجرها باقى السنه

تابعها سول وهى تصعد لاعلى وهو يقول :

– اعتقد انك اسأت فهمى انا لا انوى تقسيم وقتى بين قصرى الفاخر كما يحلو لك ان تتخيليه ، لقد اشتريت « لى بارتون » لإقيم به انى انوى ان اقيم هنا اقامه دائمه.

كان قلبها ينبض بقوه لدرجه انها احست ان الصينيه ستسقط من يدها . ثم اردف :–

– الامر ان البولو لن يتاثر بان يكون الاسطبل فى ديفون بدلا من

بيركشاير بالاضافه الى اقليته بالامس يا فرانشيسكا الحياه بها ما هو اكثر من لعب البولو لذلك باستطاعتنا ان نتطلع الى تقارب وجهات النظر فيما بيننا فى المستقبل جيرانا اماما مثلما كنا فى الماضى .

رددت كلماته الاخيره وهى تحاول تقليد حماسه بسخريه لم يفته ملاحظتها ثم صعدت مسرعه لغرفه كارول بينما ظل سول يؤكد قائلا :

– تماما مثلما كنا فى الايام الخوالى .

كانت كلمات سول تقطر سخريه ، لا يمكن ان يكون الامر كذلك الايام الخوالى ... لقد عفى عليها الدهر ونئت منذ اربع سنوات ونئت فى اللحظات التى كانت تبحث فيها عن شىء غير تقريبها من سول وهما طفلين شىء اكثر قوه واكثر ثباتا ولكن سول قد اوضح مشاعره تجاه هذا بقسوه واضحه ، لقد خاطرت ذات مره والقت بعواطفها واحلامها على قدميه ولكنه وطأ كل ذلك عن وعى .

غمرها أسى يموج بالغضب وبذلك جهد أخارقا لتلم شتات نفسها وهى تطرق باب غرفه العمه كارول حامله صينيه الشاى لقد فضلت ان تتوجه اليها بدلا من ان تلجأ الى مخدعها الهادىء تطلب فيه الأمن وتجتر احزان قلبها .

الفصل الثالث

الأب الشرعي

– هل تريدين حقا ان تعرفى شعورى ، اننى سعيده لان لى ابنه شقيق زوجى رائعه جائتينى على حين غره وانا انوى تدليليها وزيارتها طالما حييت وسأحاول ان اصلح ما افسده الدهر قدر ما استطيع .

قالت كارول هذه الكلمات وهى تتمد فوق سريرها مستنده بظهرها على الوساده ترشف الشاى

– كارول !

بدت الدموع فى عينى فرانشيسكا ، بينما وضعت كارول فنجان الشاى واخذت يد فرانشيسكا بين يدها الرقيقتين وهى تقول لها :

– فرانشيسكا ، الن تكفى عن الاحساس بالذنب ، حقا اننى حزينه لانك لم تخبرينى ولكن من المؤكد ان لديك اسبابا كافيه لذلك .. عناد ابيك على ما اعتقد .

– اننى جدا اسفه ، لو تعرفين كم كنت اتوق الى اخبارك اكثر من اى شخص اخر ولكن .

خانها لسانها واوسأت كارول برأسها علامه على اقتناعها ثم انتهت الى الحقيقه الواقعه وقالت :

– ولكنك لم تريدى لسول ان يكتشف الامر

انفجرت الدماء فى وجهه فرانشيسكا ولكن كارول اردفت فى هدوء :

– تشيس لا تنزعجى يا عزيزتى انا لا اقوى التدخل انها حياتك انت

نظرت اليها فرانشيسكا بامتنان متمنيه ان تكون لها مثل هذه المقدره

الرائعه على فعل وقول ما هو ثواب وهو ما لم تتمكن منها حتى الان واضافت كارول .

– انا لم احاكمك ، ولا تنسى ان حياتى لم تكن على هذا النحو التقليدى ، والواقع اننى لا افهم وانا متماطفه معك فانت فى الثانيه والعشرين تقريبا فى مثل سنى عندما بدأت علاقتى بوالد سول الحقيقى ، لقد تركت وحيده دون سند ومعى طفل صغير يحتاج للرعايه ، لقد كنت محظوظه اذا قابلت هارى لكن فى حالتك ستكون رحله وحده طويله .

ردت فرانشيسكا فى هدوء وهى تتحرك من فوق مقعدها على سرير كارول:

– لقد نلت الكثير من الدون وكنت محظوظه انا الاخرى فهناك ساره وانجسى وهما الابوين الروحيين للوينا انهما رائعان وكذلك جينا نهى فائقه فى ادراه الاسطبلات وكذلك معى السيده برنس .

– نعم انت لا تعانين الوحده مثل بعض الامهات غير المتزوجات

انتفضت فرانشيسكا وهى تقول :

– أكن يجب ان تستخدمى هذا العباره بعينها ، الامهات غير المتزوجات ، انها تبدو مفزعه ، ان بها نبره القيام بعمل دون الشعور بالمسؤليه نحوهم

– نعم ...انا ادرك ما تعنين ، فلتعذرينى يا حبيبتى

اخذت فرانشيسكا نفسا عميقا وعلقت عينيها على كارول كانت تتمتع بجمالها رغم اقترابها من الخمسين ، لم تستطع فرانشيسكا ان تنكر فى جمال كارول دون ان تتذكر قصتها الرومانسيه القديمه مع الزعيم النجرى ، كانت هذه القصه تلهب خيالها دائما حتى وهى طفله . ان حكايه كارول اصبحت الان غير مثيره ولكن فرانشيسكا كانت دائما مبهوره بالرومانسيه العذبه الكامنه فى عشيره النجر ولسنوات عده اثناء جد سول فى طلب العلم والمعرفه تتبعه فى حرص على ان ترى وتتعلم وتكون جزءا من عالمه السحرى ، وانتفضت وهى تتذكر شجارها الاخير العنيف والاتهامات المهينه

التى رشقها بها حين قاطعتها كارول .

– تشيس ، الى اين ذهبت ؟

– كنت افكر فى ... فى وقت اكتشاف اننى كنت حبى ، لقد حالفنى الحظ فى ان وجدت مكانا امنا ابقى فيه ، لم يكن الى سعيدا بالطبع ولكنه على الاقل لم يطردنى .

تظرت اليها كارول باهتمام وهى تضع فنجان الشاى قالت :

– لا .. تشيس ، كيف كان رد فعل والدك ؟

سيئا

احست فرانشيسكا انها لا تريد الحديث فى موضوع رد فعل ابيها تجاه حملها ولا للشهور التى تلت ذلك ، حتى مع كارول فتساءلت محاوله تغيير الموضوع .

– الا تريدين ان احضر لك المزيد من التوست او اى شىء اخر

– لا .. لا انا لا احتاج لمن تخدمنى لقد كان السبب الوحيد فى عودتى الى غرفتى للافطار بها هو ان اتركك وسول لتتحدثان سويا دون ازعاج ، فقد كان المناخ ليله امس غير ملائم وحاد للغايه ، واعتقدت ان التعقل هو افضل وسيله هذا الصباح .

– ساد الصمت لفتره حتى قطعته فرانشيسكا بقولها:–

– اكنت تعرفين انه اشترى لى بارتون ؟

حاولت فرانشيسكا الا يبدو فى كلامها لمحه اتهام

ردت كارول وتبتسم :

– آه . لقد علمت ولكن فقط منذ اسابيع قليله

اطبقت فرانشيسكا يديها بقوه ووضعتها خلف ظهرها وهى فى حاله غضب شديد وهى تقول :

– لكنه لم يهتم بأن يخبرنى ! انت كذلك لم تخبرينى

وتحركت كارول للقيام من سريرها وهى تقول :

– فضل سول ان تظل خططه فى طى الكتمان . ولا تسالينى عن

السبب يا عزيزتى ، حسب علمى فالالعاب التى تتبادلانها انتما الاثنان هى شانكما انتما شكل مباشر .

– ما الذى تعنيه بالالعاب التى نتبادلها ؟

– تشيس يا عزيزتى قد اكون بعيده عن الصوره ، منغمسه فى محاضراتى فى دار ويكشاير ولكن ادراك ما يجرى تحت سطح بينك وبين سول لا يخفى الا على انسان مستغرق كليه فى شؤونه الخاصه ولا شىء سواها لقد كنتما لصيقان كالصوص وانتما طفلين والان انتما تتصرفان كشخصيين مصابين ببارا نويا . هوس الا ضطهاد والامر لا يعنينى فى شىء ، سأذهب للاستحمام

ثم اردفت وهى تتجاهل وجهه فرانشيسكا قائله :

– اريد ان اكون فى احسن مظهر وان استعد للنزول عند ما تعود ابنتك الصغيره الرائعه من المتنزه .

نظرت فرانشيسكا فى ساعتها فادركت ان الوقت قد تأخر فقالت :

– على ان اسرع فعندى عدد من التدريبات اليوم ، سأراك لاحقا واشكرك

لمحت كارول على وجنتها الناعمه وهى تحدثها

– لقد افتقدتك بالفعل ولكنك تأتين دائما ، اليس كذلك ؟

قالت كارول وهى تختفى داخل الحمام وعلى وجهها ابتسامه –

فلتحاولى ابعادى ان استطعت اندفعت فرانشيسكا هابطه السلم وعبرت المطبخ وخرجت منه الى الاسطبلات وقد التقطت شريحه التوست التى خلفتها ساعه الافطار والتى تركتها لها السيده برنس . لم يكن هناك اى علامه على وجود سول ربما توجه الى لى بارتون ليعلن امتلاكه لها رسميا وربما توجه فى طريقه الى المتجر بوسط القريه يهنىء ماجى فرينش على قدرتها على التدخل بمهاره فى شئون الاخرين واستقصاء اخبارهم .

كانت شمس مايو تسطع فى وسط السماء لصافيه ولكن الرياح ما زالت تعصف بشده وتحرك اعواد القمح الخضراء فى الحقول البعيده كانت

ساحه الاسطبل شعله من النشاط وكان ثلاثه من المتدربين ينظفون الجياد واثنان اخران يجهزون الطعام لها .

عندما دخلت فرانشيسكا المكتب وجدت جينا تجلس على حافه المكتب تتبادل الضحك والحديث الودى مع سول وكان كليهما يمسك بقدح من القهوه . وبمجرد ان رأتهما قالت جينا وهى تبتسم :

– اهلا اليك الاخبار لقد ألغى التدريب التاسع والثلاثون فقد اصيبت لوسيندا ميفيل بالجديرى ، وها انترا أتبادل حديثا وديا مع هذا الرجل الفتى المشهور

قالت فرانشيسكا وهى تحاول الا تبدو مستبده فى الرأى :

– لدينا عرض كالسفورد هول فى نهايه الاسبوع وسيبدأ تشغيل المبتدئين وكذلك فان « فينجينس » يحتاج الى تدريب مكثف فاستخدم فى تجربه طويله

– « مينجينس » ؟ اهل انت جاده ؟

– نعم انا جاده ، فقد كانت ردود افعاله ممتازه عندما امتطنيه هذا الصباح

كانت جينا قد وقفت وبدا وجهها اكثر اشراقا من المعتاد وتساءلت فرانشيسكا عن الاختلاف الذى حدث لها ثم ادركت السبب . ان جينا معتاده على تضفير شعرها فيما يشبه ذيل الحصان ولها وجه مشرق بطبيعته ولكنها اليوم وضعت على وجهها بعض المساحيق واطلقت شعرها لينسدل كالموج على ظهرها . ان التحول ظاهر بدأ بإيلين والان جينا وشعرت فرانشيسكا بسخط شديد فهل كتب على كل انثى فى هيل مبدأ ان يدور رأسها بفعل الحضور المبهر لسول جالبجر العظيم ؟

ادخلت فرانشيسكا يديها فى جيبى معطفها وهى تحدث سول الذى كان جالساً امام الباب قائله :

– « الا تزال هنا »

– « كما ترين »

واتجهت بالحديث الى جينا قائله

– جينا ، اتسمحين بمراقبه المتدربين الجديدين القادمين من المدرسه الزراعيه فهى فى حاجه الى تدريب عملى اكثر . هذا اذا اراد استكمال مراحلهم الاولى والثانيه فى المره القادمه .

– حسنا ، سأذهب واعتنى بها

قالت جينا ذلك وهى ترمق سول بنظره خاطفه وذهبت لتنفيذ الاوامر تاركه خلفها صمت مشحون نطق سول بعده قائلا :

– يبدو انها ذات كفاءه عاليه هل هى مؤهله جيدا

– بالطبع انها معلمه مؤهله وتحمل شهاده فى اداره الاسطبلات ايضا ، فى الحقيقه انا لا ادرى كيف يمكننى ان اعمل بدون جينا .

– وماذا عنك ، هل استطعت المحافظه على امتحاناتك بجانب انجاب اطفال واداره اسطبلات وتمريض الاقارب المرضى ؟

اجابت بتوتر وهى تلتفت لتلافى وجود سول وبدأت فى تصفح برنامج عمل اليوم وهى تقول :

لدى تعليمى المتوسط ، وفوق ذلك كما قلت انت قبل ذلك بحق الحياه شاقه ومليئه بالاحداث

– اذن متى تجدين راحتك

عندما القى بنفسى فى السرير فى المساء

وتمنت للحظه انها لم تستخدم هذا التعبير اذا لمحت ومضه سخريه فى عينيه

– فلتتناولى العشاء معى الليله

– أسفه ، لكن يمكننى توفير الوقت لذلك .

– هناك مطعم جديد افتتح فى ميدان الكاتد رايه . اعتقد انه سينال اعجابك

نظرت اليه بحده وهى تقول .

– سول ، فقط اخبرنى منذ متى عدت الى هذه المنطقه ، تشترى

الاماكن ستتعرف على المطاعم الجديده ، لماذا كل هذه التحركات المحاطه بالسريه والحيطه

وابتسم وهو يقول :

– ألسنا فى هذا سواء ؟

اصابتها ابتسامته فى مقتل ، ابعدت نظرها عنه مره اخرى وبدأت تعبث بمحتويات حافظه اوراقها الموضوعه على المكتب محاوله تجاهل دقات قلبها المتصاعده ، شعرت بأنها وقعت فى مأزق كان احدى خططها قد انهارت وازعجتها الخاطر الخيالى .

ما هذا الذى قالته كارول ؟ هى وسول يتصرفان كشخصين مصابين بباراتويا هدس الاضطهاد ؟ حسنا ان هذا يسرى بالفعل على حالتها فى هذه اللحظه !

قال سول بهدوئه المعتاد :

– سأتصل بك الليله

وضع قدح القهوه على احد الرفوف وهى يستطرد – حاولى ويمكن ان تضعى لنفسك مفاجئه جديده وتستمتعين بوقتك ، ارجوك لا تتضايقنى لرؤيتى فى الاسطبلات ، فأن جينا مشكوره قد اعطتنى جوله رائعه فإنت مشغول جدا رغم ان عدد الجياد قليله على اما اعتقد .

ولكنها ممتازه بشكل عام .

ثم قال وهو يتجه نحو الباب

– آه هل تمانعين فى قيامى بركوب « كليفلاند باى » هذا الصباح ؟

– نعم امانع انه قفاز رائع فى العروض وليس جواد بولو هاد وانا ادرب بنفسى

– فليكن هذا فى وقت اخر

كانت منزعجه جدا عندما غادر المكان وهو يسير يتؤده وقف خارجه ، متمثا وهى حانقه من ذاتها بسبب رد فعلها التافه !

لماذا اعاد سول ، انه يتفقد المكان كما لو كان مالكه ؟ لماذا ' يس فى

بركشاير ممتعا نفسه باصدقائه العظماء وبرياضته الرائده ويتركها فى سلام .

فى عناد رفض استياءها ان يتبرد ، حتى اصغر انثى فى المنطقه لم تسلم من جاذبيه سول المزعومه .. فكرت فرانشيسكا فى ذلك وهى تلاحظ لوينا الصغيره وهى تترك حصانها الصغير فى حظيرته بينما تركزت عيناها الرماديتان الواسعتان على سول سعيا للحصول على رضاه

نظر اليها سول وقال ببرود :

– انها مغرمه بالخيل ، ولكن بالنسبه لطفله عمرها ... كم عمرها ؟ ثلاث سنوات ؟ فهذا الجواد كبير نسبيا ويصعب عليها التحكم فيه

قالت فرانشيسكا :

– من الافضل ان يتم التدريب على جواد كبير الحجم وليس على جواد صغير

– على الاطلاق .

احضرت لوينا جوادها وتوجهت اليهما وهى تقول :

– اليس « كوبر » جميلا . اليس جميلا يا سول ؟

– انه جميل ، وانت تقوديه بمهاره .

وجهت لمحه الدفء فى عينى سول وهو يحدث الطفله ضربه الى قلب فرانشيسكا . وعندما اصرت لوينا ان يركب سول جوادا ليتنزه معها وجدت فرانشيسكا قرارها بشأن « فينجنيس » قد القى من تلقاء نفسه ، ووقفت تشاهد سول وهو يقفز على ظهر الجواد الكبير تماما بنفس السرعه والخفه التى اندفعت بها الذكريات عائده اليها .

قاد سول الجواد باسلوبه الخاص المتميز ة. لقد بدأ وكإنه جزء من الجواد . كأنه بلا وزن ولكنه فى الوقت نفسه يتحكم فيه تحكما كاملا . كيف لها ان تناست ان سول هو من امدها بكل ما علمته لجميع من كانوا فى شوق للتعرف على عالم الخيل . ولقد شعرت تجاهه بانها صغيره وتافهه فعادت ادراجها الى داخل المكتب فى يأس وتساطت فى نفسها فى ضيق .

« لماذا اصبحت سريعه الغضب هكذا ؟!»

لا عجب ان يبدو وسول مسروراً طوال الوقت . الم تكن نزعتها الدفاعيه انتصارمه سبيلا لفضح مشاعرها ؟ الم تكن بهذا تظهر له مدى افتقادتها له مدى الاذى الذى لحقتها عندما غادرها فى تلك الليله ولم يعد مطلقا ؟

اختفى سول قبل الغداء ، قائلا ان لديه اعمالا سببا شهرها واعلن انه قد حجز طاوله بمطعم « الينسى » وانه سيعود فى الثامنه الا الربع لاصطحاب فرانشيسكا للعشاء وبمجرد ان اعلن هذا الخبر فى الموقع المزدحم فى المطبخ وقت الغذاء امام كارول وايلين ولوينا والسيده برنس وجدت فرانشيسكا نفسها فى ورطه مؤله .

كان وعيها بأن ليس هناك سببا جيدا للرفض قد كبح رغبتها المشتعله فى ان تخبر سول ان يذهب ويلقى بنفسه فى نهر « أكس » ولم يكن لموقفها الحساس من سول الا بلاحظه احد وكان رفضها الدعوه على تناول وجبه مع ابن العم الذى كانت تعبده فى يوم ما والذى لم تره منذ عيد ميلادها الثامنه عشر ظ من شأنه ان يزيد الشكوك والاحتمالات وهو ما فضلت ان تحتفظ به فى طى الكتمان . ومن منطلق وعيها بكل ذلك قبلت الدعوه ونفثت عن غضبها المكبوت فى عده ساعات من العمل الشاق فى تدريب « فينجنيس »

وفى السابعه وبعد انتهاء اخر تدريب انتقلت الى غرفتها واخذت حماما ساخنا وقد وضعت منشفه على شعرها حتى يتأثر بالبخار ثم بدأت فى استعراض ملابسها .

تحيزت قميصا حريرا بنفسجى اللون ، فاتح يميل للزرقه مع جيب طويل وجاكيت ازرق ، بدا الزى ملائما للمناسبه ، لاحظت ان شهور قد مضت دون ان تخرج فيها لتناول العشاء .

نظرت الى صورتها فى المرآه دون حماس انها شاحبه جداً ونحيفه جداً لم يكن يعجبها وجهها كثيرا كانت الملامح الوحيده المريضه لـ هى

ملامح عينيها كانت واسعتين مائلتين ، غائرين فوق عظام وجنتها ، كان لونها الازرق وما تحته من خط اسود رفيع على الجفن السفلى يعطى تأثيرا دراميا حتى فى حاله استخدام مساحيق الظلال والان ومع دفع التضاد فى ان تبد وجميله الليله بدأت فى وضع كحل فوق رموشها ثم استعرضت مظهرها « ليس سيئا » قالت ذلك وهى متأثره بالتغيرات التى طرأت على مظهرها كان الانفعال بسبب تقلصى معدتها كلما قرب موعد لقاءها بسول . لماذا اتفعل ذلك ؟! لماذا لم تستطع ان تكون هادئه وحاسمه وان ترفض الدعوه بهدوء دون ان تورط نفسها فى اظهار الغضب ؟!

لقد قضى الامر واعلنت التزامها وعليها ان تفى به !

لم يكن هناك احتمال ان يعطى تزيينها وارتدائها لعليها انطباعاً خاطئا لسول ولكنه على الاقل يدعم ثقتها الواهنه بشكل يبعث على الاسى.

وكاجراء خير وضعت بعض العطر الفرنسى الذى اهداه لها « هيرارد جراها » قبل ان يرحل فى جوله لالقاء محاضرات فى ارجاء المملكه المتحده وها هى ذا على اتم الاستعداد

ذهبت فرانشيسكا الى حجره لوينا لتقصى عليها اقصوصه قبل النوم.

فقالت لوينا

– اريد قصه الرجل الحجوز والفت والفأر

ثم استطردت الطفله قائله :

– ان رائحتك جميله

شكرا يا حبيبتى وانت كذلك

احتضنتها بدفء وبدأت فى تدليكها بمسحوق بودره التلك فقالت الفتاه الصغيره:

– هذه بودره ميكى ماوس الخاصه بى لقد سمحت لى ايلين استخدامها.

وقالت ان لها رائحه جميله

قالت وهى تحمل الطفله بين ذراعها فى مرح

– نعم هى كذلك والحقيقه انك ذات رائحة جميله وانا سالتهمك عن اخرك

– مساء الخير ، انكما تشكلان لوحه جميله ، هل قطعت عليكما حديثكما

جاء صوت سول من مدخل النرفه واتجهتا كلتاهما نحوه وازداد وجه لوينا إشراقا بينما حملقت فيه فرانشيسكا فى صمت وهى تلاحظ قميصه القطنى الشين والبنطلون الاسمر المائل الى الصفره واضفى السويتر الجلدى على مظهره لمسه من الجمال ذكرتها بسول الذى تعرفه وتحجرت حنجرتها .. يا إلهى انه يبد وراثما بهذين الساقين الطويلتين وكتفيه العريضين ولمسه الاحتواء النجريه الرحبه .

اكتشفت انها مهيأه لاحتواء مشاعرها الخاصه فى اعماق ذاتها وذلك عندما حى سول بتحيه عظيمه ثم امر بأن يحكى القصه للوينا بدلا منها .

من المؤكد ان تحكم سول السحرى فى الجياد غير المروضه والكلاب الشرسه سيمتد بكل طبيعى ليشمل الاطفال سريعى التاثر ذوى الثلاث سنوات من العمر .

حاولت فرنشيسكا جاهده ان تهدئ من الرعب المتزايد بداخلها وتجاهلت الابتسامه الحانيه التى وجهها لها سول وهما يغادران غرفه لوينا متجهين لاسفل .

وصلا الى سيارته الرانج روفر وقال لها وهما يدخلان السياره :

– تبدين رائعه وكذلك رائحتك انها جميله ايضا عطر شين ؟ لا بد ان الاسطبلات تربح كثيرا

احمر وجهها ولكنها لم تستفز وقالت :

– انا سعيده لان العطر قد اعجبك . فى الواقع انه هديه

لم تكن واثقه لماذا قالت ذلك وتمنت لو انها لم تفعل . تركزت نظره سول على وجهها وهو يقول :

–أ ... اهى من معجب ؟

– من صديق

– رجل

– نعم- رجل اسمه هوارد جراهام ذا شعر اشقر وعينان زرقاوان وهو يعمل مصمما لمقارات السباق فى « الجمعيه البريطانيه لعروض القفز » وهو فى جوله لالقاء محاضرات فى الوقت الحالى اتريد معلومات اخرى ؟

هذا يكفى فى الوقت الحاضر

كان صوت سول رقيق بدرجه تشعر بالخطر وادركت انها اصابته فى مقتل واحست بنشوه النصر . كان هذا بالطبع امرأ سخيفا فقد كانت صداقتها لهوارد جراهام صداقه عاديه - علامه متقطعه وكان جزءا من السبب فى هذا هو انها لم تكن ترغب ان تلزم نفسها بشىء اخر ومن الناحيه الاخرى لانه يقيم فى واريكشاير وهو كثير الاسفار لدرجه يصعب معها ان تكون العلاقه جاده حتى لو ارادت هى ذلك

طوال الطريق الى اكستير كان الصمت ثالثهما ، ولكن عندما وصلا واوقفا السياره وسار الى ميدان الكاندرائيه اكتشفت فرانشيسكا تلاشى احساسها بالاستمتاع بتسجيل نقاط تفوقها على سول واكتشفت ان الغضب المشتعل الذى احست به هذا الصباح لم يعد له وجود ، شعرت انها منهكه وقلقه وحزينه .

بالامس حمل والدها الى مثواه الاخير واليوم ها هى تقوم بحركات تبدو بها مهذبه ومتوافقه فى زيف مع صحبه سول فى حين ان ما تاقت لان تفعله حقا هو ان تجرى وتختبىء .

جاءها صوت سول باردا ولكن ممزوج بالعطف .

– تشيس ، لا تكونى بكل هذه المأسويه

– ابدا ... اننى على ما يرام

قال سول بهدوء وهو ينظر اليها وقد وقف خارج المطعم

– قد يكون حتك على الخروج معى الليله امر يتنافى مع مراعاه

الشعور ولكن لقد مضى وقت طويل وانا لست مستعداً لتطويل الامور

دقت اجراس الانتباه فى رأسها ثانيه وضمت يديها الى جانبها فى عصبيه وهى تقول :

– ما الذى يعنيه هذا الكلام

– هيا بنا تفضلى بالدخول

لم يجيبها ولم تستطع فهم هذه النظره . فتح لها الباب الى مدخل المطعم المظلم سألها سول وهو يبتسم نصف ابتسامه وهو يمسك بقائمه الطعام .

– هل انت جائعه ، كانت الاطعمه البحريه لديهم جيده عندما حضرت منذ عده اسابيع اما زالت تحبين شرائح اللحم المحمره ؟!

– نعم اعتقد ذلك

– اذن فلتجربى شرائح اللحم مع الموسيلين والكافيار

– سول لا توجد اسعار على هذه القائمه .

تجاهل احتجاجها واتكأ بظهره على مقعده واخذ يفحص القائمه ولم تبد ملامحه اى انطباع .

حملقت فرانشيسكا فى المكان حولها وركزت نظرها على القائمه المكسوه بالجلد وهى تتمنى الا تقرقر معدتها من الجوع . لقد سال لعابها بالفعل على الرغم من تظاهرها بالهدوء .

– انهم يقدمون ايضا شرائح مشواه مع النبيذ الابيض والصوص ها تريدين فاتح الشهيه ؟

– لا شكراً

نظر سول نحو الساقى واشار له قائلا

– احضر لى تونيك مع الثلج بدون ليمون ، من فضلك واجاب الساقى بسرعه :

– كما تريد سيد جالاجر !

شعرت بالغضب يشملها فى اعماقها لم يخطر ببالها طبيعه الحياه

الميسره الى عاشتها الى اليوم الاحين ادامت النظر فى تلك القائمه الفنيه بما تحتوى من اطعمه باهظه الثمن تدير الرأس ... وبعيداً عن الخروج النادر مع هوارد جراهام،الذى كان يفضل الوجبات السريعه والذى كان سيصيبه الدوار اذا ماقرا محتويات هذه القائمه ـ بعيده عن ذلك ـ كانت حياتها الاجتماعيه تدور فى تلك الاسماك الجاهزه التى تحبها لوينا وكذلك الوجبات السريعه الرخيصه فى الكوخ الريفى لساره وانجس .

اختار الاثنان وجبتيها وعندما خلفها الساقى وحيدين ، نظر سول الى عينيها كانت عيناه نافذتين الى عيناه وقال لها فى رقه :

– اريدك ان تهدئى فوجودى معك يشعرنى كأننى على انتظار لصفاره الخطر .

– كان عليك اذن ان تجد شخصا اخر ليصحبك على العشاء

– تشيس الا يمكنك وضع هدف لساعتين فقط

كان الصوت العميق به لمسه زيف ولكن كانت هناك دمعه اخلاص فى مكان ما فى عينيه ، واطالت اليه النظر ، كان كل وتر فى جسدها يعى اقترابه وفكرت فى غضب كيف يتوقع منها ان تهدأ ؟ بينما لديه هذا التأثير عليها لماذا اصبح متبلد الاحساس بهذا الشكل ؟ من المؤكد انه لم ينس ما حدث فى اليوم الذى تلى حفلها ؟ وخرجت منها الكلمات سريعه وصوتها يهتز :

– سول لماذا عدت ؟

لاسباب عديده . واحد منها اتاكد انك على ما يرام .

– هل انت جاد

– بكل تاكيد

قالت وهى تضحك ضحكة قصيره غير مصدقه ما يقول :

– ابعد اربع سنوات من الصمت تقرر فجأه ان تأتى وتري اذا كنت على ما يرام وضع الساقى الشراب على الطاوله وتذوقا الخمر وتناولت فى يدها كأسا واخذت ترشف منه بحرص بينما قال سول :

– حتى الان كان لديك والدك

– انت غير مقنع ، فوالدى لم يمت الا هذا الاسبوع ومن الواضح انك كنت تخطط للعوده الى بيلد ريدج منذ زمن ، فأنت لا يمكنك شراء منزل فى سبعه ايام فقط ، بجانب ذلك فقد جئت الى هنا ـ الى هذا المطعم ـ منذ عده اسابيع كما قلت بنفسك ، فلماذا كل هذه السريه بحق السماء ؟

مسح سول على جبهته رافعا خصلات شعره التى سقطت على عينيه وقال

– باستطاعتى ان اسالك نفس السؤال ، واذا اعطينا درجه من عشره فان خدعى الصغيره لا تسجل شيئا بالمقارنه بخدعك انت .

– بالله عليك ، لا تبدأ ذلك مره اخرى

– فرانشيسكا ، انا حتى لم ابدأ ، انك تعلمين جيداً ان هناك على الاقل نصف دسته اسباب لتركى لك وحيده والابتعاد عن بيلدر برج ، كنت فى حاجه لفراغ لتكبرين فيه ، ولكن كان هناك اياك يحرس بغيره كل تحركاتك لم يبد عليك انك تدركين ما تريدين ولكن بالتاكيد لم تكونى فى حاجه الى التعقيدات الزائده التى احد ثتيها انا فى حياتك .

– كيف لك ان تعرف ما الذى كنت احتاج اليه ؟

لم يحر سؤالها اهتمام واضاف قائلا :

– كانت حياتى شائكه فى هذا الوقت ، كنت اعيش واتنقل مع الغجر ، كنت فى سبيلى لمعرفه ابى الحقيقى ، كنت احاول تحديد هويتى ، كانت سنه سيئه بالنسبه لى ، كنت اعمل جاهدا لا افصل الخيال عن الواقع وهذا ما كان يجب ان تفعلينه انت ايضا وبمفردك .

نظرت اليه خلال فتره الصمت التى تلت كلماته وكان وصول الطبق الاول بمثابه دفعه ترحيب ، وغطى مذاق الطعام جانبا من توترها ، تمنت لو ان تهداء ، وان تتمتع حقيقه بهذه الامسيه بدلا من التشبث بدفاعاتها وغضبها وشكوكها المتزايده فى ان سول كان يمارس معها لعبه الانتظار .

وبينما كانا يتناولان طعامها حاول سول الحديث الى موضوعات غير

شخصيه وتابعت هى اتجاهه فتساءلت بودعن موسم البولو السابق وتجاحات هيل ميد فى عروضه القفز وبعد العشاء تخير الحلوى مع القهوه . ولم يكدا ينتهيان من شرب القهوه حتى سألها سول بابتسامه تعلو وجهه :

– هل تشعرين بتحسن الان

– كانت وجبه رائعه ، اشكرك على احضارى هنا اننى اعتزم ان ادفع حسابى بالطبع .

– لا تكونى سخيفه ، ان احوالنا الماليه لا سبيل للمقارنه بينهما

– قد لا أكون بالغه الثراء مثلما انت الان ولكننى لست معدمه ، وانا لا اريد اشعر اننى مدينه لك باى شىء .

توقفا عن الحديث لفتره قطعها سول وفى صوته نبره تفكير

فرانشيسكا . اننى حزين لانك تشعرين بكل هذه المراره وانا أسف اذا كنت قد شعرت بالهجر ، ولكن موقف والدك جعل من بقائى امراً مستحيلا ولم يكن سهلا لوالدتى ايضا ان تبقى على اتصال وكذلك ...

احتجت بغضب قاطعه حديث :–

هلا كففت عن التحدث الى كما لو كنت طفله لاحيله لها ولا تستطيع رعايه نفسها ، انك تتحدث عن « هجرى » وعن العوده لترى هل انا على ما يرام سول لم اكن طفله حين رأيتك للمره الاخيره ، والان من المؤكد اننى قادره على رعايه نفسى واداره حياتى .

ربما !

– ما الذى تعنيه ؟

– ربما تستطيعين رعايه نفسك الان ، ولكن المؤكد انك كنت طفله منذ اربع سنوات ، كنت تحتفلين بالعام الثامن عشر لمولدك ولكنك فى الحقيقه كنت لا تزالين ابنه اباك الصغيره المدلله ، التى لا ترد لها رغبه .

فتذكرت فزع الماضى بكل تفاصيل الشخصيه المحرجه واستطرد سول قائلا :

– ها هى الفتاه الصغيره تتحول اخيرا الى القوه والنضج ، وتختبر

قوتها مع اى رجل سيء الطالع يظهر على السطح .

– انك تتغير ، كان والدك يطلق عليك دائما وغد غجرى متعجرف وها انا ذا بدأت اوافق رأيه .

احست انها ذهبت ابعد مما تتصور وادركت ذلك عندما رأت وجهه يتحول الى قناع صلب يقول لا بعد فتره صمت :

– انت غير حريصه ، قد لا يعد مولدى قانونيا حسب قانون « جورجيوه للمواليد رغم ان ابى وامى قد تزوجا فى مكتب توثيق بعد ذلك مباشره وعلى ايه حال فمن وجهه نظر الغجر فانا مولود فى ويدلوك وليس خارجها وهذا يعد اكثر مما يمكن ان يقال عن لونيا .

– هلا ابعدت لونيا عن هذا الامر .

– لماذا ؟ انا أؤمن ان لدينا جزء اساسى فى هذه القصه الحزينه

حسنا لم يكن نفاذ البصيره هو افضل مواهبك . فالناس الذين لديهم حساسيه وحيد القرن للاسف يفتقدون الادراك .

هل هذه هى نظرتك لى الأن ، اذن سأخبرك كيف ارى الامور ، ان تصورك للواقع كان دائما مشوشا ينقل خيالات الغجر الرومانسيه ، ولم يكن بامكان اكثر الرجال ان يرتفعوا المرتبه هؤلاء؟ رغم ان احد الهواه قد حاول !

سرت ارتعاشه فى جسدها وشعرت بالرهبه من عمق القسوه والوحشه التى بدت قائمه بينهما واضاف :

– انك لن ترضى حتى بتجربه حياه حقيقه مع النموذج الاصلى ، اليس كذلك فى ان تذوقت ثمرتك المحرمه الا ودعت ادراجك الى ذراعى « الخطيب الملائم » الذى افاضى والدك ببركاته عليه

سول من فضلك .

تابع هجومه القوى والقاسى قائلا

ورغم ذلك فلم يكن مناسبا تماما ... السيد المحترم « الملائم » واخرسها صوته المتهكم الناعم الذى اضاف به

امنذ ان جرى لمسافه ميل حين اكتشف الثمن الذى كان عليه ان يدفعه لينال دفء الموافقه الابويه ؟ او ربما لم يكن هو على الاطلاق ؟ اخبرنى يا فرنشيسكا فانا مهتم بأن اعرف من هؤلاء المعجبين الذين حضروا حفل عيد ميلادك ؟ من هو والد ابنتك ؟ جوليان هار ينجنون جرين ؟ نيفبل بيرسفورد ؟ ام ، انتون ليفوكى

– فلتذهب الى الجحيم »

اقتربت الدموع فى عينيها ـ دموع الضيق والاهانه ، وهبت واقفه بقوه فليت فنجان القهوه والكأس الملؤ ، ودون ان تعير النظرات الى التفت حولها اى اهتمام انطلقت وهى لا ترى ما حولها وخرجت من المطعم الى الخارج حيث هواء الليله من ليالى الربيع .

الفصل الرابع

الجائزه

انتشرت حبات المطر فوق المكان وعندما خرجت فرانشيسكا من المطعم بدا ان السماء قد انفتحت فبلل المطر شالها الموضوع على كتفيها

سارت فرانسيسكا وهى لا تدرى الى اين تتجه .. لفت الشال حول نفسها واحنت رأسها وأخذت تجرى فى اتجاه الشارع .. سارت وهى تتمنى ان تتذكر موضوع اقرب كابينه تليفون . تساءلت فى نفسها كيف يمكن ان تعيش عمرها كله فى مكان دون ان تعرف اين يقع اقرب تليفون ؟!

كانت الدموع التى تسقط على وجهها محطاً لنظرات الفضول من المارة .. وذكرت ان السنوات التى قضتها فى حراسه ابيها قد نمت داخلها - على الاقل - حكمه الاحتفاظ بعملات معدنيه وكذلك بالمناديل الورقيه والبلاستر .

أخيراً وجدت الكابينه .. وقفت خارجها تعبث بحقيبتها باحثه عن النقود واذا بصوت سول يأتيها صائحاً مما جعل الحقيبه تسقط بمحتوياتها على الرصيف .. بدا لاهثا وتصورت انه قام بدفع الحساب ثم اندفع يجرى ورائها باقصى سرعه ليلحق بها وقال :

– فرانشيسكا .. بحق السماء ما هذا الذى تفعلينه ؟!

– اطلب تاكسى ، هل سمحت لى ؟

ولملمت حاجاتها من وسط المياه والتقطت العمله واخذت طريقها نحو كابينه التليفون ولكنه اوقفها .. امسكها بكلتا ذراعيه وهو يقول لها :

– اذا اردت العوده للمنزل .. سأوصلك وكفى هذه التصرفات

الهيستيريه !

– هلا ابعدت يداك عنى ؟!

– ليس قبل ان تهدئى وتتصرفى بعقل .

– دعنى اذهب ، اننى اكرهك ولا اريد رؤيتك ثانيه .

طغى عليها التشينج ووجهت اليه ضربه بقدمها فى قصبه الساق دون وعى ودون مراعاه للماره الذين تجمعوا حولها .

اخذت تصارع قوته الفائقه حتى شعرت انها تحترق من الغيظ وامسك بها سول فى قوه امامه حتى شعرت ان انفاسها تنطلق كالقذائف من جسدها واحست انها استمتعت امام طوله الفارع .. كانت واعيه لعضلات جسده بكل احساسها وحثها التحول الداخلى من المقاومه العنيفه الى الرغبه الجاشيه على بذل الجهد للهرب .

– تشيسى .. كفى عن عراكى ، اننا نسبب ارتباكاً مروريا !

قال سول ذلك وهو يعض على اسنانه من الغيظ بينما واصلت هى توجيه اللكلمات والضربات اليه .

– هل تحتاجين للمساعده يا آنسه ؟!

جاءها الصوت من رجل المرور فى زيه الرسمى وبصحبته احدى الشرطيات الجميلات وكانت واقفه تقيم الموقف بادب جم ولكنها ايضا تراه بعين خبيره فى حفظ السلام .. تركها سول وتمايلت فرانشيسكا لا ارادياً ، فقد كان الضغط العصبى ممتزجا بالخمر الذى تجرعته .. ثم معركتها الاخيره قد خلفها وهى تشعر بفقدان الوعى وقالت بصوت مهزوز بارد وكأنه ليس صوتها :

– نعم .. هذا الرجل كان يتهجم على !

وخرج صوت سول خفيضاً مملوءاً بالغضب :

– تشيسى .. بحق السماء لا تكونى بهذه الحماقه .

وتبادل رجل المرور والشرطه النظرات ثم سألها الرجل:

– سيدتى .. هل تعرفين هذا الرجل ؟!

همت لترد لكن سول اجاب فى اقتضاب وقد بدت كل الوان الغضب على وجهه :

– تعرفنى طوال حياتها اللعينه !

كان يحملق فى فرانسيسكا وهو يتكلم بينما حملقت فيه هى الاخرى وارتفعت دقات قلبها .. كان المطر يزداد قوه وفكرت فى نفسها لابد انها تبدو كالجرذ المبلل فقد كانت قطرات المطر تسقط من شعرها المبلل وتختلط مع الدموع والتصق معطفها الحريرى بجسدها وابتلت الجيب الطويله .

كانت انفاسها لا تزال لاهثه ، نظرت الى سول فى صمت ، لقد ثبت المطر شعره فوق رأسه ، واخذت تستعرض مظهره تحت تأثير المطر ، كان رجل المرور طويلاً ولكن سول كان اطول وهو بحوالى بوصتين .. سألها رجل المرور وهو يختبر بدقه تغيير وجهها الباكى :

– هل هذا صحيح .. هل الرجل صديقك ؟

– انا اعرفه ولكنه ليس صديقاً ، انا اريد العوده لمنزلى ولكنه يتبعنى !

قال سول بصوت ناعم :

– انا ابن عمها بالنسب ، هلا انهينا هذه المهزله وسأخذها للبيت .

قاطعه رجل المرور بجده :

– كونه قريب السيده الصغيره ، لا يعطيك الحق فى معاملتها بخشونه يا سيدى ، اعتقد انه من الافضل ان تعطينى اسمك وعنوانك !

تم احضار الدفتر واحدث اللاسلكى بين يدى رجل المرور اصوات وسائل غير مفهومه .

اكتشفت فرانسيسكا ان قدميها لا تقويان على حملها .. استندت على كابينه التليفون وبدا المشهد الذى يجرى امامها وكأنه منفصل عنها لا شأن لها به ولا ينتمى اليها من قريب بتأثير العصبيه والبرد معاً بينما كان سول فى هذه الاثناء يقدم اسمه واعطى عنوانه على « لى بارتون »!

ضربت فرانسيسكا بيدها على رأسها فى صمت حتى تم سؤالها اذا كانت تريد ان توجه اليه اى اتهامات .. تمنت لو استطاعت ان تتوقف عن

الارتعاش والبكاء ،، تمنت لو استطاعت ان تجيب على السؤال الذى وجهه لها رجل المرور فى ادب واصرار ايضاً .. وأخيرا حسب اقتراح الشرطيه الحسناء تم استدعاء سيارة الشرطه بالاسلكى لتوصيل فرانسيسكا الى منزلها ، وساعدتها الشرطه على الركوب وانطلقت بها السياره بينما وقف سول على الرصيف مع رجل المرور ، لقد كان هذا المشهد المثير وكأنه احد مشاهد فيلم مبلو درامى قديم .

قالت فرانسيسكا للشرطيه وقد وصلا على مشارف هيل ميد :

– اعتذر .. لاننى سبب كل هذا الازعاج ، اشعر اننى حمقاء ، لقد خرجنا لتناول العشاء ثم قام بـ ... اعنى اننى ...

قاطعتها الشرطيه وهى ترفع من معنوياتها بينما تهبط فرانيسيسكا من السياره :

– لا عليك يا عزيزتى ، اننا نقابل اشياء مختلفه فى عملنا ، والناس اصحاب المشكلات الشخصيه يسلكون دائما سلوكاً شاذاً ، واذا كان لقريبك هذا التأثير عليك فلتخرجى للعشاء مع شخص اخر فى المستقبل .. تصبحين على خير !

صعدت فراسيسكا واخذت حماما ساخناً ، وتوقعت ليله اخرى بلا نوم ولكن تحت تأثير ضغط الافكار حول الوقت الذى سيستغرقه سول للتخليص من رجل الشرطه ثم الذهاب لأحضار سيارته ثم توقع سلوك سول عند مقابلته بعد ذلك لاول مره .. كل هذا دفعها الى ان تستلقى نائمه نوما عميقاً بلا احلام ، لم يقطعه فى الصباح سوى صوت كارول وهى تناديها .

فتحت عينيها ، ولثوان لم تستطع تحديد مكان كارول فاعتدلت بسرعه ووجدت كارول تبتسم وهى تحمل صينيه الافطار وعليها خطابات البريد قائله :

– انه دورى فى احضار الشاى والتوست اليك هذا الصباح .

– كارول .. هذه رقه بالغه ما كان يجب ان تكلفى نفسك عناء هذا

نظرت فرامشيسكا نحو الساعه وتنهدت وهى تقول :

– يا الهى انظرى الى الساعه يجب ان استيقظ

قامت فرانسيسكا وهى تنظر الى نفسها فى المرأه ، ولكن كارول اوقفتها وهى تقول :

– الزمي مكانك ، الساعه لا تزال التاسعه والربع ، لقد اتفقت مع جينيا وستباشر هى العمل لساعه .

ولكن هناك عرض كاكسفورد غداً ، اننا مشغولون للغايه لتجهيز كل شيء .

وكررت كارول فى هدوء :

– جينا ستقوم بكل شيء ، فقط ابق فى مكانك وتمتعى بافطارك واستريحى ، لتصمتى ساعه تشيسى .. انك ترهقين نفسك كثيراً !

واندفعت فراسيسكا قائله وهى ترتشف الشاى :

– هراء .. اننى اعيش حياه مرفهه وانت تعلمين ذلك واذا كنت تعتقدين اننى امر بأوقات عصبيه فى رعايه الاسطبلات كذلك لونيا ، فلا تنسى ان لدى جيوشا تساعدنى .

وردت كارول وهى تتناول قدح الشاى :-

– المساعده تكلف مالاً . فها أنت واثقه لن تشتغلى باكثر من اللازم ، خاصه بعد وفاه ابيك ؟ على سبيل المثال ، هل هناك ضريبه تركات عليك ان تدفعيها .

– لست متأكده ، انت تعرفين كيف كان ابى ، لم يكن يجيد صنع العلامات ، ولكنه نقل ملكيه الاسطبلات إلى عن طريق الهيئه قبل عدة سنوات ، ربما توجد بعض الضرائب ولكنها ليست بالامر المرهق سأقابل المحامين يوم الثلاثاء وسأعرف المزيد عن الأمر أما المشكله الرئيسيه فهى نقض الريحيه فإثنان ونصف بالمئه لا تعد ربحاً مناسباً اليس كذلك ؟ وهذا فى الحقيقه هو سبب رغبتى فى الحصول على ارض اضافيه .. ولكن أنت لا تريدين أن تزعجى نفسك بكل هذا .

بالمناسبه هل أعجبك الافطار .. ثم استطردت :-

ان لوينا منجم معلومات ، لقد اخبرتنى انك تفضلين الشاى مع الحليب والعسل مع التوست .

هذا صحيح .، ولكن أين هى ، انها دائما تأتى إلى غرفتى قبل هذا التوقيت بكثير

– انها تساعد السيده برنس ، لقد إعتقدت انك تفضلين الإستلقاء وتنعمين بالهدوء والراحه هذا الصباح .

– اشعر اننى سأفتقدك كثيرا عندما ترحلين

– آه لقد قصدت أن اخبرك أن سول اتصل هذا الصباح.

احست فرانسيسكا إنها غير قادره على الحراك واستطردت كارول .

– لقد قضى اول ليله له فى « لى بارتون » بالأمس . وسالنى اذا كنت اريد البقاء لعده أيام لأعاود التأقلم مع المكان القديم ، وبما أن الجماعة يمكن أن تتخلى عنى لمده اسبوع وبما إننى لم ارى والدى الوحيد سوى مرات قلائل خلال الأربع سنوات الأخيرة وبما إننى اريد الإقتراب اكثر من حبيبتى الصغيره لوينا ، فقد سارعت بقبول العرض

– عظيم .

– أعدك بصدق الا أزعجك.

– لن تستطيعى إزعاجي لو حاولت . آسفه ، أنا لم أقصد أن أكون فظه

– كيف صارت امسيتك البارحه

كان صوت كارول طبيعياً وهى تسأل ،

وأجابتها فرانسيسكا وهى تزيح صينيه الافطار مكملاً وبدأت فى فتح الخطابات وتتجنب النظر فى عين كارول :

– كانت أمسية جيدة ، لقد تناولنا وجبه شهية فى مطعم راليتس

وجدت فرانشيسكا خطاباً من إدارة الأملاك الزارعية يعلمها بوصول عرضها بشراء العشرين اكرا وبدأت فرانشيسكا في تذكير نفسها بأهمية الحصول على كشف حساب مصرفى من البنك ومتابعة الأمر فى الأسبوع

المقبل . كانت هذه الأرض الإضافيه تعنى الكثير .

– قال سول انك عدت مبكرة بالأمس

قالت فرانشيسكا وهى تدفع الغطاء عن نفسها وتقف خارج سريرها

– أحقاً قال ذلك ؟ أشكرك يا كارول على هذا الإفطار وأنا سعيدة للغايه لانك ستكونين على مقربه منى لفترة ، ولكنى على النزول إلى الإسطبلات لمزاولة بعض الأعمال .

إذن سأتركك لأعمالك .

واردفت كارول قائله وهى تحمل الصينيه وتتجه نحو الباب :

– تشيسى حبيبتى ، إذا أردت أن تتحدثى حديثاً حديثاً من القلب للقلب عن اى شىء فأنت تعلمين إن بامكانك الوثوق بى اليس كذلك ؟

– بكل تاكيد ، الن تكفى عن القلق على أنا بخير !

قالت فرانشيسكا ذلك وقد رسمت على وجهها ابتسامه عريضه ثم إنهكمت فى ترتيب شعرها حتى سمعت خروج كارول من الغرفه وإنغلاق الباب خلفها .

ساد الهدوء الأربعه والعشرين ساعه التى تلت ذلك ، انهكمت فى الاعداد للعرض وفى حل المشكلات العديدة التى كانت تظهر فجأة . واحست فرانشيسكا أن ضغط العمل يجعله اشبه بالنضال فقد بدأ إختيار الجياد وتنظيفها وتسابق المتدربين للوصول إلى الكمال للحفاظ على سمعة هيل ميد ـ بدأ كل هذا تجاه أصعب المهام التى أقدمت عليها ولم ينجح من ذلك تنظيم تتابع الجياد وهو أمر يسير رغم انه حيوى . لقد لقد تسببت كل جوانب الحدث فى ارهاق مرونتها وقدرتها على الاحتمال لاقصى درجة .

كان الصمت الذى التزمه سول هوسبب كل هذا ـ فكرت فرانشيسكا ذلك وهى تقود الجرار الذى يحمل الجياد مع جينا صباح السبت متوجهتين إلى العرض ، كانت عصبية وقلقه على غير طبيعتها ، رغم إنها لم تكن تعرف شيئا عما تخيلت أن يقدم عليه سول للثأر منها ، الثأر هذا أمر طفولى ، وليس سول من يقدم على ذلك فالحقيقه إنه اكتسب نضجاً عبر

السنين ، ولكن فى الوقت نفسه فإن كبريائه وإعتزازه بنفسه كانا يفوقان الخيال ولتريح نفسها أبعدته عن تفكيرها عندما إنضما الى طابور السيارات وعربات الجياد المتوجهه إلى اكسفورد هول .

كان اليوم السبت فصبحت معها لورينا وإيلين وكانت تستمع إلى لورينا وتعليقها على كل ما تراه فقد كانت الصغيرة تعشق غروض الجياد وكانت تحب الحضور عندما تسمح لها فرانشيسكا . وقالت الفتاه الصغيره :

– امى سأصطحب « كوبر » فى العروض اليس كذلك ؟ إن ايلين تقول إننى لن أفعل

– إيلين على حق يا حبيبتى ، فأنت لست كبيرة بما يكفى لان تقوديه فى العرض

واضافت وهى تضمها وتلمثها على جبهتها

– عليك أن تشاهدى وترى هل ستفوز جياد بأى جوائز

تقدم الجواد « فينجنسن » تقوده « ليديا » إحدى المتدربات وبد الجواد رائعا وشعرت فرانشيسكا بنشوة.

السعادة رغم عصبيتها فقد كانت تنوى قيادة « فينجسن» بنفسها ولهذا السبب ارتدت زيا جميلاً للركوب ، فقد مرت سنوات منذ أن قادت جواد بنفسها فقد كانت ضغوط مرض ابيها ورعاية لورينا هى ما دفعتها لان تترك الساحة لجينا والمتدربين ، ولكن كان التحدى الذى يمثله قيادة « فينجسن » فى اول مسابقاته هو ما تحتاج اليه لترفع معنوياتها المهتزه .

– « ليرى » هلا سرجت لى « فينيجسن » من فضلك ؟ سأخضعه لبعض القفزات التدريبيه بعد قليل ، وانت يا جينا هلا راقبت القفزات الأوليه التى تجرى الآن واعتنى بتلاميذنا عند وصولهم ، فسأذهب أنا ولورينا لتناول الأيس كريم .

وإتجهتا نحو اكشاك الأيس كريم وهما يمزقان الزحام وسط العائلات ، بينما يقوم الأباء والأمهات بإتخاذ الصور التذكارية

– هل تحبين الأيس كريم بالشيكولاته .

– عظيم ، عظيم ، جميل أن اراكما مرة أخرى .

شتت الصوت العميق الساخر تركيز فرانشيسكا ، ووقفت فى مكانها وهى تنظر فى اتجاه جسم سول الطويل الذى سد عليها الطريق ثم تجه نظرها الى السيدة الشقراء التى تقف بجانبه وهى ترفع نظارتها الشمسيه إلى راسها كانت نظرة السيدة بعينيها البنيتين البارتين نحو فرانشسكا لا تجلو من الاهتمام وبحسبة بسيطة أدركت فرانشيسكا أن السيدة هى بالتاكيد صاحبة السيارة اليابانيه وتلقى قلب فرانشيسكا خبريه أخرى مؤله وقالت لوينا ببساطه وقد خلا صوتها من الحماس

– سول .. امى ستشترى لى أيس كريم هل تريد واحدة

وتحرك سول فى اتجاهها ووجهه الى لوينا واحده من ابتساماته التى تخلب اللب وهو يحيها :

– لقد انتهت من واحدة تواً فيما بعد ساشترى واحده أخرى لك .

– موافقة

تحدثت الشقراء فى صوت خفيف ناعم جديراً بأن يجذب أى رجل يسمعه من مسافه ميلين .

يالها من فتاه لطيفه .. كم عمرها .

واجبرت فرانشيسكا نفسها على الحديث وهى تجيب:–

– ثلاث سنوات

–لاضى طفل فى الثلاثة ولكنه لا يستطيع ربط جملتين ببعضهما .. ثم نظرت إلى سول وهى تقول :–

– الن تعرفنا ببعض يا عزيزى .

– فرانشيسكا هذه شارمن بارون ،

– شارمن .. هذه فرانشيسكا او بين ابنتها لوينا .

نظرت فرانشيكا إلى السيدة وهما تتصافحان وإستعرضت أنا قتها البارزة وملامحها الجميلة ، ومن منطلق لحساسها الدائم بالذنب شعرت أن السيدة كانت تنظر عن عمد الى أصابعها التى تحمل خاتماً .

لم يكن الأمر سهلاً ، ببساطه لانها تاقلمت مع وضعها الاجتماعى الشاذ ، ولكن لم يكن أمامها الكثير لتفعله حيال ذلك فبفياب والدلونيا الحقيقى لم تكن على استعداد لأن ترتضى أى بديل ، وفى قرية صغيرة مثل بيلدر يدج فلم يكن هناك معنى لان تحاول أن تلعب دور المنافقة الكذابه بأن تشترى لنفسها خاتماً وتسمى نفسها باسم أى عائله ، ولكن فى النهاية كانت لوينا هى التى عانت الأمر كانت فرانشيسكا تدرك ذلك جيداً وكان هذا الإدراك هو سبب شعورها بالعجز والغضب

تداعت الام قرارتها السابقة إلى ذاكرتها فى سرعة وهى تتابع المحاكمة العقلية الصامته التى مارستها عليها شارمن بارون تماماً كما تابعت الكثيرين وهم يفضلون نفس الشىء من قبل .

– إن لوينا تسبق سنها ، فهى تزهل المشرف فى المنتزة بكتابة اسمها وقراءة كل ما تضع يدها عليه رغم أن الاطفال لا ينتظر منهم ذلك قبل سن الرابعة .

ثم وجهت الحديث الى سول بينما تجر لوينا يدها فى اتجاه بائع الأيس كريم ،

– بالمناسبة ، ماذا تفعل هنا ؟ هل قررت اعتزال البولو والتفرغ لعروض القفز ؟

وإرتسمت على وجهه إبتسامه لا تعكس اى دفء واوضحت النظرة فى عينيه إن الأحداث التى شاهدها يوم عشاهما كانت اقوى من أن يغفرها او ينساها .

وشعرت بأمعائها تتقلص وامتعضت وغضبت من نفسها لانه جعلها تشعر بالذنب فقط بتعبير ظهر فى عينيه.

– لا ، لقد دعانى منظمو العرض لاقوم بتسليم الجوائز.

– آه ، ضيف شرف ؟ عظيم .

تدخلت لوينا وهى تقول :–

– امى ، الايس كريم لقد قلت إنك ستشترين لى ايس كريم .

– حقاً . فتاتنا لى .

ووجهت إلى سول وصديقه ابتسامه مجردة سريعه وقد لمحت خلالها رجل يحيطهما واضح إنه أحد الزملاء فى لعبة البولو حيث دار الحديث حول الموسم وحول المباريات المحلية خلال الاسابيع القادمة .

واثناء شراء الأيس كريم وعودتهما الى المضمار عبر الزحام تنالها إلى سمعها ما يكفى لإثارة فضولها حول معرفه خطط سول المستقبلية فما الذى هو مقدم عليه ؟تساءلت نفسهاوهى تتجه إلى مضمار الخيول وقد تركت لوبنا فى رعاية إيلين بينما إنتقلت هى إلى مكان آخر تباشر فيه العرض وتنظم فريقها الصغير بأكثر قدر ممكن من الكفاءة .

من المؤكد إنه لم يكن يخطط حقيقة الإعتزال البولو والإنعزال فى غياهب ريف ديفون فـ « لى بارتون » لقد لمح إنه سينقل إسطبله إلى هنا ولكن هذه المحادثة العابرة الى سمعتها منذ قليل لم نفط الإنطباع بأنه مرتبط بشكل خاص بالموسم الإنجليزى القصير القادم دون النظر إلى السفر الذى يتطلبه احتراف لعبة البولو .

مضى اليوم بطيئاً ، فقد اختفت الشمس مبكراً وهبت الرياح من الغرب مرة ثانية وبدأت المسابقات واضافت اسطبلات هيل ميد الى رصيدها من الجوائز فوزين من القفزات الأولية وفوزين آخرين فى التسابق بينما تجاوزت مسابقة القفز المفتوحة الزمن المقرر لها بحوالى الساعه . بدأت فرانشيسكا تشعر بشد عصبى وعضلى . كان فينميشن يؤدى بشكل مذهل ، كان يعبر الحواجز كما لو كان حصان قفز خبير وليس حصانا يشهد أول سباق له ورغم انهم وقعوا فى عدد من الأخطاء إلا أن الفرق الأخرى كذلك ارتبكت العديد منها وبعد انتظار طويل فوجئت فرانشيسكا بفوزها بجائزة ثالثة .

ها هى محنة إستلام الجائزة من سول الشخص البارد قليل الكلام الذى كان يقبع خلف المائدة الخضراء وسط القضاء وطفى على هذه المحنة شيئان اولاً السعادة بإنجاز « فينجنس » وثانياً إلى ارتداء المعاطف وأوقية

الرأس .

ضحكت فرانشيسكا وهى تهبط من فوق الجواد وتستقبل لوبنا التى كانت تجرى نحوها قائلة :-

– أرأيت فينجنس يا حبيبتى وهو يفوز بالجائزة ، الم يكن رائعاً

– بلى ، إنه أمهر من « كوبر » هل يمكننى ركوبه .. اجابت الصغيره فى سعاده

– لا . يا حبيبتى ، فينجنس ، كبير جداً بالنسبة لك ، اعدك أن تدخلى المسابقات مع « كوبر » بمجرد أن تكبرى بما يكفى ، والآن يمكنك ركوب « دانوديل » بعد لحظات عندما تعود به سوزى من حلبة السباق .

وبدأ الاصرار والعناد على لوبنا تبكى وتقول :-

– اننى اريد فينجنس

وتبادلت فرانشيسكا النظر مع ايلين التى كانت تقف بالقرب منهما وتوزع إنتباهها بين ما يحدث فى حلبة السباق وبين ما يحدث من لوبنا ، خاطبتها فرانشيسكا قائله :-

– إيلين ، من فضلك ، هل دخلت إلى العربه معها ، سنغادر المكان ، بمجرد أن يتاح لنا ذلك .

رأيت فرانشيسكا جينا وبدا إنها فى حالة نقاش حاد مع والدة احد المتدربين فإتجهت إليها لتنظر الأمر وهى فى طريقهما جاءها صوت أوقفها حيث كانت وهو يردد :-

– تهانئى ، لقد كنت رائعة .

وإلتفتت لتجد سول وهو يستعرضها بعينين ضيقتين ، كان بمفرده وتعجبت ، أين أذن شارمين الجميلة ؟ وردت :

– اشكرك .

– انه جواد صغير واعد هل كنت تدريبة بنفسك ؟

– نعم .

– وهل إعتدت اصطحاب لوبنا إلى عرض الخيل بينما تمتعين نفسك

بالتسابق؟

جف حلقها وشعرت بأنها معزولة وسط الزحام من حولها ولم يكن تعى إلا عين سول الرمادتين وهما تنظران ببلاده نحوها .

– سول ، لا تتدخل فى شئونى .

– يبدوا انك غير مهتمه على الاطلاق بإكتشاف اننى قضيت تلك الليلة خلف القضبان .

نظر اليها ورغما عنها إحمرت وجنتاها عندما تذكرت النهاية المأسوية لأمسيتها وقالت :–

– أظن إنك استطعت الحصول على حريتك مرة أخرى.

– تقريباً ، لقد أطلق سراحى وتم تحزيرى ومن المحتمل أن اسمى موضوع الآن فى ملفات الشرطة كمطارد للنساء فى شوارع المدن. .

وقاومت دافع الاعتزال وهى تقول :–

– ربما . هل تأذن لى ، هناك امور على القيام بها .

بدا أن الأزمه المشتعلة ، على الجانب الآخر فى سبيلها إلى التفاقم ، كانت جينا مديرة إسطبلات ناجحة ولكن تنقصها ديبلوماسيه التعامل وبدات فرانشيسكا فى الابتعاد عن سول ولكنه اوقفها وامسك بها قائلا :–

– لحظة واحدة ، اين تظنين نفسك ذاهبة ؟

– هذا ليس من شانك .

اجابته بخنق وتحت قبضته كل محاولات للتعرف بتحضر عندما حاولت التملص منه ومن أن تجذب إنتباه الناس ومن حولهما فإضطرت الى ان تقول له :–

– ولكن إذا كان يجب أن تعرف فانا ذاهبة للحديث مع والدة أحد المتدربين .

– يحسن أن تختبرى دورك أنت كأم ، لإنه ومهما كانت أحادتها لركوب الخيل فى عمرها هذا إذا لم اكن مخطئا فانا أشك فى أن تصعد طفلة فى الثالثة من عمرها .

الفصل الخامس

الشائعات

استدارت فرانشيسكا وتجمعت لثوان وهى ترى المشهد ، لقد عادت ليديا بفينجنس من المضمار وتركته وهو فى حاله نشوه ونشاط بسبب مجهوده الوافر فى حلبه العرض انهكمت فى حديث مع ايلين ، وواضح ان كلتهما لم تلاحظ الطفله الصغيره وهى تتسلق الجواد بينما أصابه النشاط الهياج .

– لوينا !!

وحاولت الانطلاق ولكن امسكتها يد سول فى قوه وهو ينصحها :

– انتظرى ، استخدمى عقلك ، ستفر عينها ، اذا اندفعت نحوها فى هذه الحاله الهيستسريه .

– انا لست حمقاء ، لهذه الدرجه .

واندفعت فى طريقها الى المعركه ، وانتهى الموقف الدرامى فى لحظات اصبحت لوينا فى مأمن واطلقت فرانشيسكا غضبها فى جه ايلين وليديا ثم اخذت لونيا وصعدت الى العربه وهى ترتعش ووجدت سول يقترب من باب العربه دون اى تغيير على وجهه فعاجلته قائله :

– لم يحدث اى خسائر

كان يمكن ان تصيبها جراج خطيره

ادرك ذلك ، ولكن فينجنس ليس وحشا ضاريا .

www.elmanaa.com

بالنظر الى عرضه فى الحلبه ، لا اعتقد ان لديه حساسيه تجاه طفله فى الثالثه

– نعم بالتاكيد

من اين جاء اسمه

كان سلوكه سيئا للغايه عندما اشتراه أبى ، ولكن عالجته من كل ذلك وهو الان شخصيه معدله

تمنت لو ان يذهب بعيداً ، وان يتوقف عن ملاحقتها ومحاكمتها وتعدها بعينيه اردفت قائله :

– كان هذا امر هينا ولكنه انقلب ونال اكثر مما يستحق ولن يحدث هذا مره ثانيه .

– كيف يمكنك ان تكونى متاكده هكذا بينما تقضى مربيتك الصغيره نصف يومها فى احلام اليقظه .

كان الاحساس بالذنب يجعلها تدافع بغضب ، كانت رساله سول الصامته تنطوى على انها غير قادره على ان تصبح اما لطفله عمرها ثلاث سنوات انانيه ، لا تحاول التوفيق بين الامومه والعمل وهدأت من روعها وحافظت على تحكمها فى اعصابها وهى تقول :–

– ان ايلين فتاه طيبه وتمتاز بالصبر مع لوينا ، بصراحه هى افضل مربيه جاءتنى منذ وقت طويل .

– اكان عندك الكثير منهم ؟!

وقالت فى ادب محسوب :

– سول ، اليس هذا من شأنك فى شىء ، ولكن نعم ؟ فالمربيات الصالحات لا تطرحهن الاشجار وهى كذلك مكلفات للغايه .

– هاتعانين نقصاً فى الاموال ؟

– لا ولكنى كذلك لست مهيأ بها .

– اذن ما هى خططك بشأن الاسطبلات ، بالنظر الى الاداء اليوم ، فانت ملتزمه الان نحو عملك مع الجياد ، فبإمكانك الارتقاء بمستوى عرض

الفقر اكثر من ذلك اهذا ما تنويه .

حكت رأسها بيدها وهى تنظر بطرف عينيها نحو ليديا وهى تفك سرج فينجنس وتتوجه به نحو العربه ثم قالت :–

لا ، انا سعيده وانا ارتفع بمستوى التعليم وايواء الجياد .

كانت مسابقات عروض القفز الحاد ستاخذها بعيداً عن لونيا كثيرا ولكنها احجمت عن التصريح بذلك لسول ، فقد يظن انها تحاول ان تبرر لنفسها ثم لماذا يجب عليها ان تبرر لنفسها امامه ؟ فليس هناك ما يحتاج الى تبرير رفع سول حاجبه وهو يقول :–

اننى اقوم الان بشراء بعض الاراضى الممتده على حدودى الغربيه ، ماجهه التى تحاذى بها ارضك ارضى .

انها ملك سول الان لكن هذه الاراضى المتاخمه ليهل ميد وكذلك الممتده لعده اميال شمالا وجنوبا هيل ميد قالت:

– عموما . هناك عشرين اكراً تقع بين اشجار الخشب فى « لى بارتون » وبين المرعى الواقع عند المنحنى الذى تقترب فيه اراضك من اسطبلات ، وتعرضها مزرعه كوميب للبيع وانا اضع عينى عليها الان

– اهى معروضه فى المزاد العلنى

كان من المستحيل تخمين السبب الخفى وراء سؤال سول ولكنها اجابته :–

– تقدم عطامات لاعلى سعر

وهل تستطعين انت تقدير الثمن الذى تدفعه.

وصرخت فى وجهه فى غضب

يا الهى ، اتظن اننى صغيره مبتدأه ، اننى اعتقد ان لدى من الذكاء ما يجعلنى فى حاجه الى نصائح ، وانا كذلك لا استطيع مباشره اعمالى بنفسي اشكرك يا سول .

– اليس لديك مشاكل فى تمويل الشراء ؟

– سأتدبر الامر

– واخذت تشرح بشكل يحمل سخريه مدبره

– انها مساله توازن الامور ، فالارباح قليله بسبب اسعار العلف المرتفعه ثم المشكلات الناجمه عن الاحتفاظ باعداد كبيرة من الجياد فى الاسطبل ، وميدانيا فأن وجود ارضى اضافيه سيسبب فجوه فى ميزان المدفوعات ولكن على المدى البعيد سيحسن ذلك ، هل يصعب عليك فهم ما اقول

اجاب فى رقه وبدت على عينيه علامات الضحك :

– لا ابدا ، اعتقد ان لدى من الذكاء ما يجعلنى افهم مقصدك ، شكراً يا تشيس

اقترب منها مثبتا عينه عليها وعلى وجهه تعبير مبهم وقال فى هدوء :

– ربما اكون قد غاليت فى رد فعلى ، فقد رايت ذات مره طفله صرعها جواد هائج فى جنوب امريكا ، وانطبعت هذه الحادثه فى ذاكرتى ، فربما كان هذا هو سبب مغالاتى فى الحذر عندما يتعلق الامر بالاطفال .

سبب افترابه والصدق المنبعث ، فى صوته جفاف حلقها اشعرتها انها الصدفه التى ذكرها بالاعباء فقالت :–

– انه شىء فظيع

– لو ان شيئا حدث للونيا ، لما كان للحياه معنى

وقطعا للصمت ، فقالت :–

– ماذا عن خططك انت . اقصد ما يخص البولو ؟

– من اى ناحيه

– اعنى انك فى هذه الفتره من هذا السنه كنت تتواجد وانما فى الارجنتين اليس كذلك ؟ وكنت تقضى السنه فى فلوريدا بدايه من شهر يناير .

كانت تتهاكم على اسلوب الحياه الرفيعه وهى تتحدث ثم اضافت

– من المؤكد انك لست جادا فى قضاء معظم اوقاتك فى هذا المكان ؟

اجابها وهو يرفع عينيه لتواجه عينيها :–

– لو كنت حقا متابعه لتحركاتى طوال الاربع سنوات الماضيه ادركت اننى اكون فى انجلترا دائما فى شهر مايو .

– انا لم اكن اتابع تحركاتك مطلقا ولكن الجميع يعرف نظام محترفى البولو على مدار السنه .

– حقاً !

حملقت فيه بانزعاك . كان عليه ان يشعرها كما لو انه يسل نفسه معها ... كانت قد ادركت فى التومدى قله ما عرفته عن سول طوال السنوات الاربعه الاخيره ، فكل ما عرفته فى الحقيقه انه كان يقارب بالاموال التى خلفها له العم هارى وانه اصبح لاعب بولو كبير وعضو مؤثر فى جمعيه هيد لينجهام للبولو ، وانه بدا فى السفر للخارج وكان قد بدا من خلال « بونى كلوب » ثم بعد ذلك اثناء دراسته فى جامعه اكسفورد .

كانت معلوماتها اليافيه قد حصلت عليها من المجلات والصحف ، وحسب هذه المعلومات فأن سول والمحترفين من امثاله واغلبهم من جنوب امريكا ، يقضون حياتهم فى التنقل من بلد لبلد طوال العام ، كان هذا جدول سنوى يحصلون منه على اجور خياليه وكانت الشائعات تقول بأن سول قد كون ثروه من الاتجار فى الجياد ، وهيأت له نظرته الثابته فى الجياد النجاح فيها .

قال سول وهو ينظر الى وجهها فى اقتراب منه دون ان يحمل وجهه اى تعبير .

– خططى مرنه للغايه .

هل تخطط للعب جميع مباريات المستوى الاول لهذا الموسم ؟

– ربما ، فقد جرح كتفى منذ شهرين ويعتمد الامر على مدى الشفاء من الاصابه ، بجانب عوامل اخرى .

– اعتقد انك تفكر فى الاقتراب من هذا

اندفعت هذه الكلمات منها فى غيظ قبل ان تفكر فيها ، دفعها حنقها

مما تحمله نظرات عينيه .

– تشيسى اننى ممتن جيداً لاهتمامك بمستقبلى .

– انى مهتمه بخططك بشأن « لى بارتون » لانها تجاور ارضى ، واود ان أظل على علم باى تغييرات اساسيه تحدث .

قالت ذلك وهى تتجنب نظرته الساخره حين قال :

– نعم لدى خطط ولكنها لا تزال فى اطار التكوين فى الوقت الحالى ، اننى اريد افتتاح مدرسه للتدريب على البولو ... ثم اضاف بعد التفكير .

– بالمناسبه ، هل لى ان أسألك صنيعاً ، اود ان اصنع اثنان من جيادى فى اسطبلات هيل ميد ، فمبنى الاسطبل فى « لى بارتون » يحتاج للكثير من العمل ، وسأدفع ثمن الاقامه كامله بالطبع .

– بالطبع ، لقد اخبرتنى والدتك انك انتقلت الى « لى بارتون » فى الوقت الحالى :–

ولكن كيف الحال هناك ؟!

– فلتأتى وتشاهدى بنفسك اننى سأقيم استقبال يوم الجمعه .

تصلبت فرانشيسكا رغم عنها ، وشاهد سول الى رد فعلها وهو يقول:–

– ما الامر ، اخائفه من الدخول الى لقر دار الذئب ، لا تنسى ان والدتى ستكون هناك طوال الاسبوع القادم .

– انا لست خائفه من اى شىء .

– عظيم ، اذن لاثبات انه لم يعد هناك اى مشاعر اليمه بعد ليله الخميس فلنتناول غذاء الاحد معا باكر .

تطلعت اليه فى غضب ، كان المستمر الذى يمارسه عليها منذ ان ظهر مره اخرى يوم الجنازه قد أرعجها بشده وقالت :

– سأفكر بالامر ، فأذن لى فانا مشغولا تماما فاما معتاده على رؤيه ساره وانجس ايام الاحاد وشعرت وكأنه يلمسها بعينيه وارتعشت رغما عنها وهو يقول :

– اسمعى ، لم يكن ما حدث ليله الخميس بمجرد دعابه ، لقد مارست اقصى انواع التحكم فى النفس كى لا أقدم الى هيل ميد صباح الجمعه ، وانهال عليك ضربا بالسياط .

لم يكن هناك اى تعبير على وجهه وهو يوجه اليها كلامه ، كان من المستحيل ان تعرف هل هو جاد ام لا ... فقالت فرانشيسكا .

– لا توجه الى مثل هذه التهديدات الصبيانيه ، وعلى كل لدى صديقتى الشرطيه وكل ما على هو الاتصال بها .

كانت ابتسامتها رقيقه للغايه ولكنها ارتعشت بفعل الاشعه الفاضحه المنبعثه من عينى سول .

– من المحتمل ان يكون هذا امراً جيداً ، فاخفاء المشاعر العنيفه لا يعد امراً صحيحاً للعقل .

– نعم هو كذلك ، يقلقنى سبب ملاحقتك لى بهذا الشكل مع انك تكره رؤيه وجهى .

وامعنت النظره القاسيه تجاه وهو يقول :

– اكره رؤيه وجهك ، لا يا تشيس ، اخطأت مره اخرى كعادتك ، لقد ظننت انك نضجت ولكنك لا تزالين تنظرى لكل شىء بسطحيه .

– سول ، لماذا لا تتركنى بمفردى وحسب ؟

خانها صوتها المتردد وبدأ فجأه ان القسوه والحيره قد صارتا مريجاً لا يمكن التحكم فيه كانت جينا تتجه نحوهما ، وقد انتهت من معركتها عند الحلبه ، ولكنها ترددت وهى على بعد ياردات قليله منهما وهى تنقل نظرها بينهما ثم جاءت وانطلقت فى اتجاه اخر ... تقلص وجهه وهو يقول :

– تشيس لقد وجهت لك عده كلمات ليله الخميس تحت انفعال اللحظه وانا لا يمنعنى كبريائى من الاعتذار .

– انا ...

وقاطعها بابتسامه وهو يقول :

– تعالى غداً ، بأمكانك تفقد المكان القديم .

كان الصوت العميق منخفضاً يصعب استيعابه ، انه قطعا لا يتوسل ، لم تستطع ان تتقبل ان سول يتوسل لاجل اى شيء حتى ولو كان لاجل حياته ، ان الغرور يسكنه فى اعماقه ولكن كانت هناك لمسه دفء وسببت سريان الرعب بداخلها . لابد انه يعرف كم تتوق الى زياره « لى بارتون » ثانيا .

– لا لا استطيع ، ليس غداً .

وفكرت ، لا مفر ، كان التفكير الخالص فى ان تكون مع سول فى جو ذلك البيت الحميم ـ كان اكثر مما تحتمل .

– اذن ستحضرى حفل الاستقبال

– ساري !

– سول ، هل انت هنا .

ظهرت شارمن بارول ، وقد انسدل شعرها الاشقر على وجهها بفعل العاصفه وقد بدت غير مسروره وقد صحبها رجل نو شعر داكن .

– من المفروض ان تصعد الى البهو لتناول الشراب مع كبار المدعوين ، لقد كنا نبحث انا وجابريل عنك فى كل مكان .

كان الرجل الواقف بجانبها ينظر بابتسامه نحو سول فى نفس الوقت يرفع عينيه باهتمام نحو فرانشيسكا التى وقفت فى سكون وابعثت رعشه فى اوصالها وهى تلاحظ نزعه التملك فى تصرفات شارمن تجاه سول ، وابعدت هذه الافكار عن عقلها بالتركيز على جابريل ، كان اقصر من سول واكثر نحافه منه وعكس عيناه وشعره الداكن ولون بشرته اصولا اجنبيه وقال وهو يشير ويضحك فى اتجاه سول .

– اهلا ، ارى ان سول قد نسى قواعد السلوك ، انا جابريل اندرادا مد يده يصافحها فى صداقه ودفء واظهرت لهجته اصول الاسبانيه

اهلا بك فرانشيسكا

انا سعيد جدا بمقابلتك .

وتدخل سول وكانت نبره صوته باردة بشكل لا تخطئه العين :

– جابريل صديق قديم ، من امريكا الجنوبيه ، ولديه عاده سيئه وهى تجربه سحره اللاتينى مع كل امرأه يقابلها .

قالت شارمن وهى تجذب يد سول فى نفاذ صبر :

– هيا كليكما ، لقد تجمدت وانا اتشوق الى كأس من الشامبانيا

وهمهمت فرانشيسكا وهى تستدير لتراقب جيادها داخل العربه :

– لا تدعنى افوت عليك الحفل ، فالبعض منا لديه عمل يؤديه .

قال سول بهدوء :–

– ارك مساء الجمعه ولا تنسى احضار ساره وانجس فهما مدعوان .

وقالت فى برود دون ان تلتفت :–

– اسفه ، مساء الجمعه لا يلائمنى اعذرنى لن اتمكن من الحضور

كانت هذه طريقه ايجابيه ومؤكده لمعالجه الموقف ، قالت فرانشيسكا ذلك لنفسها بينما تمر الايام ويقترب يوم الجمعه ، لم تكن تنوى ان تغير رأيها ولا حتى لان كارول قد ذهبت للاقامه مع سول فى « لى بارتون » وتوسلت اليها ان تاتى لزيارتها وقتما تستطيع لم يغير كل ذلك من قرارها وكان الاحباط الذى شعرت به عندما ارسل جواديه مع السائس دون ان يأتى هو ليؤكد الدعوه فكل ذلك ضاعف من موقفها .

مضى الاسبوع وقد شغلتها امور العمل فقابلت محامى والدها الذى اكد ان ما دامت قد حصلت على الاسطبلات عن طريق الهبه مطالبه فقد بدفع رسوم بسيطه من ضريبه الارث ثم فاجأها بانباء تسلمه لعرض الشراء الاسطبلات والمنزل من شخص لم يفصح عن نفسه ذكرلها المبلغ المعروض الذى ادار رأسها .

– ولكن من هو هذا الشخص ؟

– ليس بامكانى الافصاح عن ذلك .

كان المحامى صديق قديم لوالدها واضاف :–

– لقد جاءنى العرض من خلال مكتب محاماه واصروا على الا يفصحوا عن اسم عميلهم .

اخبرته انها لن تبيع ، كانت مصره بشكل كبير على الا تبيع ، لم تكن ترغب تماما فى ان تكرس كل حياتها للجياد ، ولكن بعد ان وصلت الى هذه المرحله وتقدمت بالعمل الى هذا الحد فقد كرهت ان تفقده كان نوعاً من الفخر والولاء ، نعم ، الولاء والانتماء لوالديها .

وانطلقت بدفع عزمها على صنع نجاحات اكبر بمجهودها الخاص وتوجهت لاداره الاملاك لتعرف اخبار العشرين اكراً ، كان التفاؤل يملؤها عندما اخبرت بأن عروضاً كثيره قد قدمت وانهم يفحصون هذه العروض وسيعلنون النتيجه بعد اسبوع .

ولاول مره خطر اليها انه لان هذه الارض تجاور ارضها ولأنها فى حاجه ماسه اليها فأن ذلك لا يتبع انها ستحصل عليها بسهوله ، وكان خاطر قاسى واراحها خاطر ان صاحب الارض صديق قديم وانها قدمت سعرا اعلى مما وصى به الخبراء ، والان كان كل ما تستطيع هو الانتظار والامل.

تشيس ، بالطبع ستأتين الى الحفل الذى يقدمه سول ؟

سألتها ساره اثناء تناول الشاى معها مساء الخميس ولكنها رفعت حاجبها فى ذهول وهى تستمع الى فرانشيسكا تقول لها انها تنوى مراجعه الحسابات ليله الجمعه فاردفت ساره :-

- كيف ذلك ، لا اعتقد ان كثره الحفلات قد اصابتك بالملل فانت لا تذهبين الى اى منها ، وبصراحه فأن اى فرصه للراحه والابتعاد عن ارهاق التدريس اليوم للاطفال يعد امراً عظيما ، انا لن اتركها تحت اى ظرف .

- اما انا مشغوله هذه الليله .

تابعت ساره حديثها وهى تتجاهل كلمات فرانشيسكا .

- القريه كلها تتحدث عن الحفل اتصدقين ، لقد استأجر سول « روزافين » للعمل كمشرفه للمنزل .

- لا... روزافين !

ضحكت فرانشيسكا فقد كانت روزافين ارمله اشتهرت بالنميمه رحمها

تأتى فى المرتبه الثانيه بعد ماجى فرينش .

- يا لسول المسكين ، عليه من الان وصاعدا ان يحسب كلماته والافسيجد خصوصياته منشوره على لوحه اعلانات القريه .

بدأت الجديه اكثر على وجه ساره الضاحك وهى تقول :-

- تشيس ، هل تظنين ان ذهابك الى حفل سول قد يكون مدعاه ؟

تجمدت فرانشيسكا واثبتت نظرها على « شبابك » وهو يمسك بقطعه لحم بين اسنانه محاولا تقطيعها ومن خلال باب المطبخ المفتوح رات ، جينا وهى تجلس وسط مجموعه من المبتدئين .

- تشيس ، كفى عن ذلك انا لا اعرف انك تحبين الحديث عن الماضى ولكنك لن تستطيع الاستمرار فى التصرف كالنعامه للابد ، فعاجلا وأجلا ستبدأ الاسئله ، هل تفهمين ما اقصده .

بدت شفتى فرانشيسكا ملتصقتين وبذلت جهداً لتخرج الكلمات

- لست متأكده !

انا اقول ذلك لاننى سمعت شيئا بالامس ، فهناك حديث يدور على الاسئله عنك وعن سول وعن الطريقه التى كنتما تتصرفان بها سويا « تشيس انا لا اقول ان هناك شيئا خفيا بينكما ولكنى فقط احذرك من انك اذا اتجنبتيه على الملأ ورفضت دعوته على حفل الاستقبال ، وتشاجرت معه كلما تلاقيتما فأن ألسنه القريه ستبدأ في لوك سيرتكما .

لم تقل فرانشيسكا اى شيء ، لم تستطيع ان تفكر فى قول اى شيء ولكن كان قلبها مضطربا .

-وكأنها جرت لاكثر من نصف ميل . وتابعت ساره حديثها فى نعومه

- أنا أعرفك منذ ان كنا فى السادسه

- تقريباً

قالت فرانشيسكا ذلك وهى تتحرك من مكانها لتخفف من التوتر الذى أصابها من الداخل واتجهت نحو الباب وهى تتابع المتدربين بينما أعطت ظهرها لصديقتها التى تابعت حديثها :

– وعرفت سول ايضاً فى هذه الفتره ، وعلينا مواجهة الأمر وبصراحة حينما كان يعود للبلده قادماً من « ايتسون » كان كلاكما لا يفارق الاخر لقد كنت تقريباً تعيشين فى « لى بارتون » اليس كذلك .

– حتى ذهب الى اكسفورد . ساره ، أرجوك .. انا لا اريد الحديث فى هذا الامر .

أسفه ... انه خطئى ، فهذا ليس من شأنى ، لقد أخبرنى انجس أن اغلق فمى .

– إذن لقد سمع بالأمر هو الآخر ، وكنتما تناقشان أحوالى .

اجابت ساره ، وبدا لها كلام تشيس سبب لها الألم .

– تشيس ، إننا زوجان .

– نعم ـ أسفه ، لم أقصد الاساءة ، أنا فقط اشعر أننى مضغوطه الآن .

– يا للسماء ، فقط اسمعينا ، وقولى أسفه لكلينا مع كل كلمه

ضحكت ساره ، وهى تقول هذا وتحركت نحو الباب لتقف بجوار فرانشيسكا وتضع يدها على ذراعها وتواصل حديثها :

– تشيس ، انا اتجاوز حدودى واعرف ذلك ، لكننى أفكر فى لوينا أنها ابنتى الوحيده إنها على اعتاب ان تسأل « من هو ابى » .. إنها فقط تنتظر أنها تقول واحدة من الامهات شيئاً فى المنزلة ، أنا اعرف ما يسببه هذا للاطفال ، أنا أدرس لصبى صغير يأتى يوميا من قرية أخرى لان والدته عرفت إنه طاق بالأسئله والسخريه من مدرسته القديمه فالاطفال أحياناً يقسون بعضهم البعض .

– سارة ، ارجوك هلا صرحت بما تريدين قوله مرة واحدة ؟

– حسناً : اذا إستمرت فى التشاجر مع سول سيفسر الناس الامر على هواهم وقد فكرت فى إنك تفضلين أن تكون الحقائق معروفه وان تأتى منك أنت وليس من هؤلاء الذين لاهم لهم الا الحديث عمن لا يخصهم من امور الناس .

حملقت فرانشيسكا تجاه ساره وارتفع ايقاع دقات قلبها وهى غير واثقه اتستسلم فى النهايه ، ولم تكن واثقه مما استشفته ساره بالفعل

– تشيس ، انا معك بكل صدق !

اضحكتها نبرة الولاء فى صوت سارة رغما عنها وتلاشى التوتر فقالت فرانشيسكا :

– اشكرك على هذه التحذيرات ولكنى لا استطيع أن اعدك بالمجيء إلى هذا الحفل ولكن من الآن فصاعداً سأكون رقيقه ولطيفه فى معامله إبن عمى سول . ما دمت ترين ان هذا سيحل المشكله

وارتشفت فرانشيسكا جرعه من قدح الشاى وهى تستكمل .

– ومع حالتى المغريه إمرأه بيلدريدج الساقطه فمن الصعب أن ارفض ايا كان ما تعتقدين .

– إنك تتصرفين كواحدة من البطلات الضحايا روايات « توماس هاردى»

كانت ساره منبرمة وهى تقول ذلك وظهرت على وجهها علامات مختلفة وكأنها قد وجدت الشجاعة لتقول ما فى نفسها بصراحة ووجد صدى النصيحة مكاناً فى رأس فرانشيسكا طوال الأربع والعشرين ساله التى مضت لم تكن واعيه للحظه التى قررت فيها أن تذهب إلى حفل سول ، ولكن ما أن حل مساء الجمعه الا وقد وجدت نفسها قد إستعدت وإرتدت ملابسها .

كانت كلمات سارة مفاجأة لها لكن الحقيقه كانت موجودة امامها منذ وقت ، فلماذا لم تراها ؟ او أرجعت السبب الى لوينا والى نفسها لم يكن أى سؤال لمن التزام على المدى الطويل محل تفكير ، ولكن لوينا تحتاج الى حقائق اساسيه عن ابيها وليس إلى شائعات من الدرجة الثانيه قد تقدم لها معلومات خاطئه تماماً وتجمدت وهى تصفف شعرها وشعرت أن دماؤها اصابها الصقيع وهى تفكر فى الماضى محاولة ان تستخرج منه مواقف سوء الفهم والمرارة ، كانت دلالاته مريرة لدرجة إنها تمنت لو إستطاعت ان

تحمل لورنا وتهرب بعيداً ، وتذهب إلى مكان بعيداً عن بيلد ريدج ، بعيداً عن هؤلاء الناس الذين يعتقدون أن شؤون الآخرين هى من صميم شؤنهم الخاصه ، بعيداً بصفه خاصه عن مدى سول وتأثيره .

لقد تعلمت شيئا واحدا خلال حياتها الآن وهى إنها لا تزال حيه باقيه ، إستطاعت أن تكافح ولا يهم مدى القسوة التى عانتها ، وبعد مرور السنوات الأخيره كان هذا الكفاح سيمتد ليشمل أموراً تائهه مثل حفل إستقبال فى منزل مجاور قالت ذلك فى نفسها فى سخريه وهى تصنع بروش فى شعرها الكثيف لتثبيته به وحملقت فى صورتها دون حراك .

قررت فى نفسها ليس سيئه ، لست سيئه على الاطلاق ، وهى سعيدة بثقتها فى نفسها ووضعت احمر الشفاه فوق شفتيها وبعض المساحيق على وجهها وإنسدل شعرها على صدرها .. الليله يمكن أن يطلق عليها الآخرين انها متوهجة ، وهو ما يمكن أن يدعم أدائها بشكل معقول الى جانب طموحها الحرص القديم وعرفت أن الأمرين معاً ضرورياً إذا كانت تنوى إفحام « روزا » بأن تهتم بسول بشكل طبيعى ولكن ودى .

رغم ذلك ، هناك أمر واحد مؤكد ، فكرت فى ذلك وهى تقود سيارتها فى اتجاه « لى بارتون» حتى وصلت إلى المدخل المعتاد للمنزل ، كانت سارة على حق بشأن الشائعات ، يجب أن تظل مشكلاتها مع سول خصوصيتها وطابعها الشخصى مهما كانت حدة القسوة والشك بينهما وادانت بالفضل للورنا لانها لم تعلم عداوة أمها لابن العم الذى كانت مخلصة له ذات يوم .

بإمكانها بالفعل أن تشغل التخمينات التى دارت بلاشك فى أرجاء بيلدر يدج حتى ظهرت « لورنا صوليت اوين » لأول مرة فى هذا العالم فى إحدى ليالى ابريل منذ ثلاث سنوات .

الفصل السادس

حفل الذكريات

– عزيزتى تشيس ، لقد أخبرنى سول إنك لن تستطيعى الحضورى ، ولكنى سعيده جداً إنك حضرت ، لقد توقعت حضورك مع سارة وانجى بنسبة خمسين بالمائه .

خفف ترحيب كارول الحار من محنة دخولها للمكان المذحم بمفردها ، قبلتها العمة كارول على وجنتيها بحنان وبدت هادئه وسعيدة فمن المؤكد أن امتلاك سول « لى بارتون » قد بعث فيها العديد من الذكريات ولم يبدو على كارول اى علامة عما إذا كانت قد شعرت بالغربه بعد عودتها إلى المنزل الذى عاشت فيه لثمانيه وعشرة سنه مع العم هارى .

نظرت فرانشيسكا فى ارجاء المكان القديم وسرت فى جسدها ارتعاشه اذ تذكرت غضب والدها بشأن بيع « لى بارتون » فقد كان هذا المكان هو الذى شهد طفولته هو وأخيه هارى كان شيئاً سيئا أن ينتقل هذا البيت إلى سول ولكن ما كان أسوأ هو ان تبيعه زوجة الأخ إلى شخص خارج العائلة .

إبتسمت كارول وفى عينيها لمحة تفهم لما يدور فى راس فرانشيسكا وقالت:

– انك تبدين منبهرة يا عزيزتى ، شىء عجيب أن يكون لمجموعة من الاحجار والحوائط هذا التأثير على الانسان ! اتعرفين أن الغجر يأخذون علينا ارتباطنا مما نملك ، كان هذا أول شىء تعلمته عندما بدأت اعبس

وسط مخيماتهم ، ادرس اسلوب حياتهم لأجل موضوع بحثى الذى اهمل منذ زمن .

نظرت فرانشيسكا نحو عمتها فى فضول وهى تقول :-

هل يعنى إنه اهمل عندما قابلت والد سول ؟

بدا الحزن على وجه كارول وهى تقول :

- جاك جالاجر ، اتعرفين حقاً أحببت هذا الرجل ، اه وكذلك احببت هارى ولكن والد سول ...

وحملقت فرانشيسكا فى كارول وهى تشعر بأن سحر الماضى البعيد يفرض نفسه تلقائياً ، لم يكن هذا هو الوقت المناسب لسؤال كارول عن الماضى ولكنها ارادت بصورة اقوى مما سبق أن تعرف ما الذى سار بالأمور على الوجه الخطأ .. قالت كارول فى بطء :

- اعترف ، لقد اندفع الماضى نحوى أنا أيضاً عندما وضعت قدماى على هذا الباب .هناك العديد من الذكريات ، العديد من الاطياف ،اه يا الهى .

تغير التعبير على وجه كارول الى الحزن فجأة وكأنها عزمت على طرد الماضى من مخيلاتها والاستمتاع بالحاضر وقالت :-

سول مشغول هناك مع مجموعه من اصدقائه ، تعالى لتتعرفى على الشخص الذى كنت اتبادل معه الحديث .

ووسط ضباب دخان السيجار وهمهمه الأحاديث المستمرة وجدت فرانشيسكا نفسها منقادة بقسوة الى موقع مثير بجوار المدفأة ، وقد امسكت بكأس من النبيذ الاحمر وإستغرقت فى حديث تافه مع « جابريل اندرادا ».

لاحظت سول برعب أن الحفل بالملابس الرسمية ، فالجميع يرتدون ملابس السهرة حتى سارة ، كانت فرانشيسكا ترتدى زياً متواضعاً ولكن ... لا يهم .

كانت تجيب بآليه على تعليقات جابريل دون إنتباه وقد شعرت بالذنب

حيال ذلك بعدها كانت عيناها تبحث عن سول ، وجدته يرتدى بذله سوداء كلاسكية يتجاذب الحديث والضحك مع مجموعه من الرجال ، كان اكثر الرجال جاذبيه فى المكان ، وفكرت ، لماذا لم يخبرها بأن الحفل بالملابس الرسمية ، وجاءها صوت المنطق ، لانها أخبرته انها لن تاتى و ازعجها احساسها بالغضب لانه لم يهتم بالأمر باصرار اكبر .

- اهلاً .

جاءها صوت شارمين بارول من وراء كتفها ، كانت فى غاية الأناقه وتابعت كلامها قائلة :-

- هل كل شىء على ما يرام ؟\

اه انت فى حاجة لملىء كاس .. أنا سأقوم بذلك

ظلت فرانشيسكا للحظات تفكر ما الذى استفزها فى هذه السيدة المتعاونة التى تصرفت وكأنها المضيفة ، مما يعكس بوضوح شديد علاقتها الوثيقه بسول

كان جابريل يحدثها عن محترفى البولو الانجليز فى معاونتهم بلاعبى امريكا الجنوبيه وكانت تنظر اليه باهتمام دافعه الأدب ، بينما كانت افكارها فى عالم آخر عندما قطع حديثهما صوت سول العميق يقول :-

تشيس ، لا تصدقى كلمه مما يقول.

وانحنى وهو يطبع قبله ترحيب على وجنتها محدثا موجه من القشعريرة فى جسدها كله وإستطرد :

- جابريل متعصب جداً ، إنه يعتقد ان اهل امريكا الجنوبية فرسان بالسيفة . أنا سعيد لانك حضرت ، انك تبدين ساحره .

- أشعر إننى لا ارتدى زيا مناسباً كان يجب عليك ان تخبرنى أن الحفل بالملابس الرسميه .

- لقد اخبرتنى انك لن تستطيعين الحضور .

- سول ، لقد كنت اقول لفرانشيسكا انه حتى بدون الملابس الرسمية فهى أجمل امرأة فى المكان .

قال جابريل ذلك وهو ينقل نظره بينهما قائلا :-

- واذا كنت أنا متعصب بأى شكل - يا أميجو - فأنا متعصب فقط تجاه إبنة عمك الرائعة .

وبدت من سول إبتسامه سريعه وبودة ولكنها غير صادقه وشعرت فرانشيسكا بأنزعاج ممزوج بلمحة انتصار ووجهت واحدة من إبتساماتها الساحرة « الى جابريل » وهى تأخذ كاس النبيذ الذى قدمته شارمين العائدة تواً وضحكت متجاهله الاستياء المنبعث من وجه سول . قائله :-

أنا متأكده انك تقول هذا الكلام لكل امرأة تقابلها لكن شكراً لك على إى حال

يالسعادتى هل اتجرأ ؟ هل يمكننى أن أطلب منك أن تكونى ضيفتى فى احدى مباريات البولو هذا الشهر .

رفضت فرانشيسكا أن تنظر فى عينى سول واجابت :-

أنا لم اذهب لمشاهده البولو منذ وفاة عمى هارى ، اشكرك « يا جربريل» سيكون هذا رائعاً

- الان يمكننى القول اننى رجل سعيد للغايه

ورفعت يدها الى شفتيه بينما لمعت عيناه .. فقطعت شارمين الحديث بضحكة عاليه وهى تقول :-

- أنا لا استطيع معرفه لماذا يلعب الرجال لعبه البولو هذه بكل هذا العدوان ، إنه شىء وحشى

انعكست كلماتها على تعبيرها وبدأت شارمين وكانها مسكونة بالفكر قال سول بهدوء وعينه على فرانشيسكا .

عدوان محبوب ! اننا نلعب البولو لنطلق المشاعر العدوانيه بطريقه لا تؤدى بنا إلى الاحتجاز فى قسم الشرطه

تعجبت فرانشيسكا وقد اتسعت عيناها :-

احقاً ، اذن انت تقول ان المحاورات والمناوشات التى تحدث فى ملعب البولو تمنع الرجال من زوى الدماء الحامية من ارتكاب جرائم الاعتداء ؟

جاء صوت سول منخفضا وارتسمت على وجه ابتسامة لدواعى المظهر العام وهو يقول :-

- إحتمال ، هل سمحتما لنا ؟

وأخذ بذراع فرانشيسكا وهو يمسكها بقبضه قوية وهو يكمل حديثه :

- لقد وعدت فرانشيسكا بإننى ساجعلها تتفقد المنزل ، فقد اعتدنا انا وهى ان نلعب هنا سويا ونحن طفلين لذلك فالحنين الى الماضى هو ما عداه اليوم .

تحركا بسرعه ودخلا الى اقرب غرفه خاليه وتصادف ان كانت هى غرفه البنادق الخلفيه كانت الحجرة دافئه بها بعض البخار بفعل اوراق المنبته الخضراء الوارفه ، اغلق سول الباب بكعب قدمه

- هذا شىء عظيم .

بدأت فرانشيسكا بهذه الكلمات وهى تنظر حولها على غابة اوراق الشجر ، وعلى البعد والى الخلف نظرت عبر الزجاج إلى الارض الخضراء الشاسعه وقالت :-

- لقد كنت مشغولاً بترتيب هذا المكان بسرعه .

قامت شارمين بهذا

لقد اتضح الآن جيدا وضع السيدة الشقراء صاحبة السياره اليابانيه - فكرت فرانشيسكا فى ذلك بينما تجتاحها نوبه هيستيرسه داخليه - اه عشيقه سول التى القى على عاتقها مهمة تجهيز بيته الريفى واعداده لاستقباله .

- حسناً ، انه يبدو جميلاً

- انا لم آت بك هنا لتتناول هذا الحديث الودى حول مشكلات الديكور وترتيب البيت

- لقد ظننت ذلك ، فما الأمر إذن .

تساءلت وهى تواجهه فى غضب وأردفت قائلة :-

من المفترض إنك رجل متحضر ومتعلم ، اتذكر ذلك وقد نلت درجه

الإمتياز فى علم الإنسانيات من اكسفورد اذن ، لماذا هذه التصرفات الهمجية.

عبر سول الغرفه الى أن وقف على مقربه بوصتين تقريبا منها وهو يحملق فى عينيها ثم أمسك بكتفها وجذبها اليه حتى بدا أن انفاسها تندفع منها فى رعب وقال :

– انت تريدينني أن أظهر بمظهر المتعلم المتحضر اليس كذلك ؟ اوافق

غمغم سول بكلمات لاتينيه وإرتسمت على وجهه ابتسامة وجذبتها يداه نحوه لدرجة أن توقفت أنفاسها ، فقالت بصوت مهزوز :

– أنا لم اطلب منك أن تلقى على بكلمات لاتينيه ، فما الذى تعنيه هذه الكلمات.

– إنها تعنى بأبنة عمى الصغيرة الجميله ، لا احد يثير غضبى ويفلت من العقاب .

– يالسعة إطلاعك ، هل يفترض أن أخر صريعه أمام ذكائك الأكادمى بصوره او بأخرى

ضاعف من قوة قبضته ، رافعاً الحرارة بينهما إلى درجه لا تحتمل قائلا :

– كنت على استعداد دائماً لأن اسلك اى سبيل اثبت لك به اننى لست الولد الفجرى الجاهل القاسى كما كان يصفنى والدك .

كان صوته قاسياً وكان من المستحيل التنبؤ بما يدور فى رأسه .. فهذه الطريقه التى عبر بها عن مشاعره الحقيقه لم تكن هى الأخرى واضحة كان هناك غضب كامن اذن ، ولكنها استطاعت أن تشعر بدلائل رغبته عندما جذبها بقسوة نحوه كان يجب عليها أن تعاركه ولكن جاءها صوت مرعب يعيد بذكراها بأن هذا جنون كانت موجة من الدفء الحار تنسل من اخمص قدميها الى راسها كانت ركبتايها تضعف فى عناد

– الن تطلبى منى ان أطلق سراحك .

كانت هذه الكلمات تخرج منه إلى فمها مباشره ، وفى صدمة شالت

احست بشفتى سول على شفتيها وأستمتعت بالمذاق الحسى الفائق ، ومع الأنين المكتوم إستسلمت لقبلته ، طفت موجات الرغبة على جسدها بالكامل مسيطرة على عقلها .

وتوقف الزمن ثم بدأ وكأنه يعود للخلف مستحضراً الماضى باعثاً إياه الى الحياه مرة أخرى بكل ما فيه من ألم وسعادة قد يصعب التفريق بينهما.

كانت مستسلمة له بلا حيله وشعرت به ينتبه ثم يسحب شفتاه ببطء تاركاً إياها وقد اعترها ذهول وحنق ، بسبب مشاعرها الفياضه ، وإحتضنها ، كانت يداه فوق كتفيها وحملق فيها بهدوء وبدا الغموض فى عينيه .. همست قائله:

– سول ، لماذا فعلت ذلك ؟

– فضول ! لقد اردت ان استعيد بعض الزكريات .

سول!

– هل ، انت جائعة

كانت عيناه الرماديتين الباردتين قاسيان وهما يمسحان وجهها الساخن وتنتقل إلى أسفل لتستعرض جسدها

– لا لست جائعه

– إذن هل نستعرض المنزل ؟ ونستعيد ذكريات الأجازات الصيفيه السعيدة التى كنا نلعب فيها هنا

– لا يا سول أنا ...

– فرانشيسكا ، ماذا بك الا تحبين استعادة الماضى .

وتلاقت عيناهما وكأنهما ذابتا فى بعضها البعض وأخذا يحملقان كلاً فى الأخر كان سول بارداً فى ملابسه الأنيقة ، وكانت فرانشيسكا متوترة بفعل قبضه اصابعه على كتفها ، كانت عيناه تستعرضان جسدها حتى استقرت على نهديها وهما يرتفعان وينخفضان فى سرعة وتوتر ، غمرتها موجة من الخزى وهى تلمح ومضه النصر فى عينيه وهو يردد :

– تشيس ، الا تريدين اشباع فضولك مرة أخرى ؟

– كفى ذلك

كان صوته يمتزج بالرغبه ، وارتجفت فرانشيسكا بعنف وتسبب كدرها فى انغمار دموع ساخنة غاضبة من عينيها ، وإحتضنها سول بين ذراعيه مرة اخرى وضمها بقوة نحو صدرة وكانت دموعها تبلل قميصه .

وما أن بدأت فى البكاء حتى دفعها شرفها الجريح لئلا تتوقف وزاد تشنجها ، لم تكن تعتقد ان بداخلها كل هذه المشاعر فقالت :-

– اسفه ، انا اكره البكاء

– تشيس

كان صوته مليء بالشفقه وحاولت ان تتملص من بين يديه ولكنه منعها وتحلل اصابعه شعرها ، كانت حرارة جسده تعطيها الارتياح الطبيعى الذى إحتاجته .

– للبكاء ، فوائد جيدة ، إلا تعرفى ذلك ؟

– ليست له فوائد ، انه يصيبك بالصداع ، ويسبب احمرار العين .

– اهدئى واجلسى .

قال ذلك وقد جذبها نحو رف حديدى ابيض فى ركن الغرفه واضاف :

– اللعنه على ، انا أسف ، انت لا تزالين فى غمرة الحزن على ابيك وقد اثقلتك بضغط المشاعر

جلست على الرف فى هدوء وصمتت وشعرت ببرودته على جسدها وتناولت منديله الابيض الذى قدمه لها واخذت تمسح عينيها وأخيراً ، قالت بصوت رقيق :-

– لست انت السبب فى ذلك ولا موت أبى كذلك ، فقد كنت معده لتقبل أمر وفاته طوال ثلاث سنوات .

– ولكن للصدمه وقعها حين تحدث

– أعلم ، ولكن الليله ، اعتقد إننى تأثرت جداً بوجودى هنا ثانية .

واكملت اعترافها ولكن فى صمت زاد ومن روعتها ووجودها بين ذراعى

سول ثانيه وتقبيله ثانيا .

– لقد ظننت إنك أحببت هذا المكان .

قال ذلك وهو يجلس على الرف بجوارها ومدد قدمة أمامة ناظرا الى حذائه اللامع .

– نعم ، احببته ولازلت .

ونظرت إلى الخارج من خلال الزجاج تستقبل جمال الريف « ديفون» الرائع من حولها وبدت الظلام تمتد على هذه الرائعه من ليال شهر مايو ، كانت التلال تمتزج بلون رمادى ناعم أخذت نفسها وحاولت ان تبتسم وهى تقول :-

– لقد شهد هذا البيت اسعد لحظات حياتى ، فحينما كنت اعود فى العطلات لم يكن والدى يجدانى فى هيل ميد.

– إننى اتذكر جولاتنا على ظهور الجياد ولعبه القراصنه حول البستان ، وارتدائنا لملابس ابطال القصص الخياليه .

لم يبدو على سول اى ابتسامه وهو يقول :-

– لقد كنت مغرماً بالقراصنه وركوب الخيل حسبما اتذكر

– لم تكن متحمساً لإنتاجى المسرحى .

احمرت وجنتاها وهى تتذكر واحدة من هواياتها المفضله ، سيناريو ، كانت تصر على تمثيله فى العديد من المناسبات ، كان سول يمثل دور الأمير الوسيم ، وهى فى دور « الجمال الناعم » وكانت المشكله أن سول قد كان فى الرابعه عشر قد تركها نائمه وسط الأحراش لفتره طويلة واختفى ليبحث عن لعبة أخرى تثير حماسه .. قالت ببطء إذ طال الصمت بينهما –

– كل ذكرياتى تدور حول اللعب هنا فى « لى بارتون » شىء غريب اننى أستطيع تذكر اى العاب مارستها فى هيل ميد .

– ذلك لاننى كنت شخصاً غير مرغوب فيه فى هيل ميد أغلب الوقت.

– سول لم يكن الأمر بهذا السوء

– لا تقلقى هكذا ، لم ينته بى الأمر الى إحساس دائم بالامتهان - ومن

المحتمل ان الرفض والاضطهاد من عدة اتجاهات تدفعنى إلى أن أصبح اكثر غروراً او صلفاً .

ابتسم فى سخريه وتابع حديثه قائلا :

– لقد مضى ذلك العام فى سفر دائم مع ابى الحقيقى ، لاقتنع باننى لست منفرداً لاننى من سلالة فريدة فقد تغيرت عادات الغجر ليدخلها الظلم والاحجاف الموجود فى عادات « جورجيو » ليصبح ذا إقدام من طين.

همهمت فرانشيسكا فى إستياء :–

– شجاعه منك ان تكون بهذه الصراحة

– إن بى عيوباً كثيرة ولكن نقص الشجاعه ليس من بينها ، فماذا عنك يا تشيس هل تنقصك الشجاعه

نظرت اليه وخمنت لو أن تعرف ما الذى يرمى اليه ثم قالت :

– لا اعرف ـ هل تقصد من الناحية المادية ام المعنوية ؟

من الناحية الماديه لديك ما يكفى من الشجاعه ، فما كنت لتدفعى « فينجتس » إلى هذه القفزات يوم السبت الماضى إذا كانت تنقصك ، ولكن ماذا عن الشجاعة الأخلاقيه ؟

نظرت من خلال الزجاج ومسحت بأناملها على شفتيها ووجنتها الحمراوتين ، كانت مثله تتساءل ، انه يعرف .. ولكنها الآن شبه متأكدة .

– ليس لديك ما تقولينه ، اتعرفين ما الذى يثير اهتمامى ؟ هل كل ما حدث أن والد لوينا تركك لتكافحى وحدك وان الفرصه لم تتح له ليراجع نفسه ؟. هل كان السبب إنك لم تخبريه مطلقاً ؟

استدارت نحوه فى بطء لتواجه عينيه اللتان ظهر فيهما الغضب رغم برودهما :–وقالت فى تعالٍ مدروس وكانت تتمنى ألا تصيب هذه الرعشه صوتها وهى تتكلم :

– او ربما إننى لم أعرف مطلقاً من هو والدها .

– لوينا تحتاج لأب ، فكونك ماهرة ورائعه وكما تزعمين .. حرة لا يعوضها عن حياه عائلية آمنة .

– لا يعد شيئا رائعاً او ماهراً أن أصبح صلبى فى وقت أنوى فيه ذلك.

وشعرت بحرارة تندفع إلى رأسها وهى تكمل .

– ولكن رغم كل شىء فقد كان خطىء أنا ليس كذلك ؟ لاننى وكما أشرت انت قبل ذلك ، كنت غير متجانسه مع مصالحى .

جاء صوت سول عميقاً وهو يقول

– فرانشيسكا والآن ما الأمر ؟ الشجاعة الأخلاقيه تدفع الى قول الحقيقه ، اليس كذلك ؟ فلنواجه الأمر لقد كنت على علم بالموقف منذ اربع سنوات اليس كذلك ؟ وكنت أنت من شرحت لى الأمر فى هذا الوقت بدبلوماسية وبراعة لا تنسى .

وقفت فرانشيسكا وتبعها سول وهو يلتف حولها كانت عيناه قد أسودت من الغضب ، كان الظلام يهبط بالخارج وكانت الأضواء المنبعثه من المنزل الكبير تنثر اشاعتها على الأرض من حول الغرفه وباتا منعزلين فى غرفة النباتات المظلمه الرطبة . قال سول بسرعة :–

– فلنرا إذا كنت استطيع أن أعيد تجميع سيناريو الأحداث ، لقد تجمعت فيه كافة عناصر الفارس الكلاسكيى ، هذا إذا كانت الذاكرة تسعفنى من المفترض إنك قد خطبت لجوليان بنجتسون جرين فى عيد ميلادك الثامن عشر ففى الحفل رقصت تقريبا مع كل الرجال الموجودين عدا جوليان ، عندئذ وجدتك فى وضع فحل مع نيفيل بيرسفورد داخل الاسطبل ، هل صرت عن الصواب فيما أقول حتى الآن ؟

وردت بطريقه ساخرة تغطى بها جزوة الغضب المشتعلة بداخلها :

– وهل تخطىء ابداً

– وهكذا ولى بيرسفورد الأدبار مسرعاً ووجدت نفسى أحاول مواساتك ، والشيطان وحده يعلم لماذا ، وعندما تقدم والدك وارتبك كل شىء ، وفى اليوم التالى وجدتك فى غرفتى بالفندق تتابعين العابك الصغيرة وعندما تغيرت اللعبة صرت أنت البريئة المظلومة .

وردت عليه فى غضب وقد انتفضت :

– وانت اكثر الرجال الذين قابلتهم غباء قله احساس ، هل تقول ان سفرك مع ابيك الحقيقى قد عالجك من الغرور . انك تخدع نفسك ، انك اكثر من قابلت من الرجال غرورا وتشبثاً بالرأى انك تظن نفسك ألهاً ، وهذا الافتخار بالنفس والصلاح المزعوم يصيبنى بالعثيان

– عزيزتى !

جاء الصوت الاجش قاطعاً حديثهما محدثاً صمتاً مفاجأ بعد المعركه الكلامية المشتعله واستطرد الصوت :

– يبدو اننى دخلت فى لحظه غير مناسبة أنا آسفه

ولم تعكس عينى شارمين البنتين أى آسف ، كانتا جاحدتين وهما تتعركان على وجه فرانشيسكا الذى أعلنته حمرة الخجل إلى وجه سول ذو القناع الابيض .

– عزيزتى سول ، هناك مكالمة تليفونيه لك ، إلقى كافينريش يريدك بشأن الخميس القادم

– أخبريه اننى ساتصل به فيما بعد .

كان صوت سول صلباً اغضب شارمين

– سول ... ولكن

– لا تتضايقى من ؟أجل فهذا أمر شخصى تركتها فرانشيسكا يتحدثان وإندفعت نحو الباب ، لقد نالت حريتها ، جرت بسرعه نحو الدرج وهى تتوق للحصول على ملاذها فى واحد من الحمامات العلوية فقد شعرت إنها فى حالة لا تسمح لها بالانضمام إلى الجمع مرة آخرى ، كان عليها أن تجد مكاناً تستطيع فيه أن تجلس وتفكر وحدها فقد سببت لها كلمات سول القاسية إحساس مفزع بالقلق .

بدت لها كل الأشياء التى حدثت فى حياتها حتى الآن وكل القرارات الفردية التى إتخذتها خلال الأربع سنوات الأخيرة العصبية بدا كل ذلك مضطرا ومرعباً وملعوناً اكثر من اى وقت مضى .

عندما رأت الديكورات الجديدة فى الحمام اندفعت الأفكار فى رأسها كيف يطلق سول لأمرأة مثل شارمين العنان لتعيد ترتيب البيت كما تشاء ؟ أن هذا يوضح دليلاً على عمق مشاعره نحوها بدا لاعياء يتسلل إلى معدتها كيف يمكن أن تكون بهذا الغباء ؟ كيف تسمح لنفسها بأن تغار من سيدة فى حياة سول ؟ فهذا النوع من تعزيب التراث سينتهى بها فقط إلى اليأس .

لم تكن فرانشيسكا متأكدة من كيفية صعودها إلى المكان تحت السطح مباشرة ، ولكن كانت ذكرى السكون والإنعزال السرى بهذه الغرف القديمه المتربة ـ كانت مثل شبح صامت يستدرجها لأعلى . كانت خطواتها على الدرج تصنع صدى ، واخذت تنتقل من غرفه لاخرى بهدوء وترتعش من لمسه البرودة والمنتشرة كانت كل الغرف مختلفة بالطبع ، لقد اختفى الطابع الذى تذوقته منذ الطفولة ، وحل الطابع الحديث بدلا منه ورغم ذلك فعندما فتحت آخر غرفة فوجئت بوجود قطعتين مالوفتين لها ؟ من المحتمل ان المالكين الآخرين لم يكن لديهما الوقت لالقائها خارجاً . ياللعجب لا يزال دولاب الغزل القديم المترب هنا ؟ مغطى بعدد من الستائر القديمة هنا كذلك الشيزلونج العتيق بظهره المكسور وكسوته الخضراء الباهتة .

– لقد اعتدت أن اتركك هنا تلعبين أدوارك التمثيلية .

جاءها صوت سول ناعماً ولكنه افزعها فقفزت بعيداً واضطرب قلبها وكاد ان يتوقف فى صدرها .

– لقد اعتدت ان اذهب لركوب الخيل او لصيد السمك . كانت نوبات الغضب التى تنتابك وانت إبنة اربعه عشر ربيعاً حينما كنت اعود مسلية للغايه .

قالت وهى تنظر اليه بغضب وقد بدا انه اصبح داكنا فى الضوء الخافت:

– سول ، اتركنى بمفردى

– ما الذى تفعلينه هنا بأعلى .

– افكر ، احاول ان أجد مكاناً اكون فيه بمفردى

– لقد ظننت انك هربت منى مرة وتأكدت أن سيارتك لا تزال موجودة.

ا قترب منها كان هدوءه ينذر بالسوء ، وانتفضت كل شعرة فى جسدها من الخوف وهو يضيف

– ثم هدتنى حاستى السادسه الى إننى قد اجدك هنا

– سول ، إذا لمستنى ثانياً فـ ...

واقترب منها اكثر وامسك بوجهها بين يديه وقال :

– فـ ... ماذا ؟ ستصرخين ؟ ام ستجرين لاسفل وترسلين فى طلب صديقتك الشرطية ؟ أهى زميلة إتحاد النساء الذى يظن أن كل الرجال مغتصبين؟

– كفى

– لا ليس الآن

جاءتها الهمسة الناعمة فى أذنها مباشرة فجأة وجدت نفسها ممدودة على الشيزلونج ..

– تشيسى ، لقد تكلمنا بما يكفى وتبارزنا بما يكفى وأطلقت على اسماء وقحة تكفينى لأخر الزمان ، فلنذهب فى جولة أخرى إلى لعبتك المفضلة « الجمال النائم » والفارق الآن إننى لم أعد اعتقد أن تقبيل الفتيات شيئاً سخيفاً .

– اتركنى

وحاولت المقاومة ولكن خارت قواها .

– سأدعك تذهبين إذا اعترفت إنك تريدينني بنفس الدرجة التى اريدك بها .

– لن افعل

– اهو كذلك ؟!

– سول توقف أتوسل اليك

مرت اللحظات ولم يعد هناك فائدة من الاحتجاج ، لافائدة من التفكير

.. لم يعد هناك تعقيدات فقد انتهى الفراغ الطويل الذى استمرار اربع سنوات نهاية سريعة . غمرتها الرغبة ولا سبيل الى إفكارها لكن لا ليس ثانياً لقد كنت حمقاء ذات مرة ولكن لا لن تتكرر ذلك ، اعطاها الرعب القوة لتدفع سول من فوقها وقد امتلأت بالخوف والغضب ودفعته بقوة لتتخلصى نفسها وانتهى الأمر . كانت منهكة جلست على الشيزلونج ، سادت فترة من الصمت ثم قالت

– لقد كنت خائفة من القدوم إلى هنا والآن اكتشفت السبب .

– خائفه لماذا ، لم تزل طهارتك كما هى لم تلمس ، حتى إذا كنت قد أردت ذلك مثلما أريده

– قال ، اردت ذلك ، إن هذا يناقض ما حدث

– فرانشيسكا . انا أسف

– أسف ، لماذا حاولت فعل ذلك ؟

– كنت افكر فى إقناعك بأن تكونى ضيفتى فى اى مباراه للبولو تفكرين فى حضورهما

لم تصدق أن تكون بينهما هذه المحادثة بعد ما حدث .. فقالت :

– هل انت جراد ؟

– اكثر من اى وقت آخر ، والآن ها انت ترين درجة غيرتى

– انا لا اصدق اننى أسمع هذا الكلام ، هل تغار من جابريل لمجرد إنه دعانى لحضور مباراة بولو أنت الذى تركتنى ذلك اليوم منذ اربع سنوات دون ان تنبس بكلمة وبقيت سعيداً طول هذه الفترة ؟

– كل شىء كان خربا

– قال ذلك ببطء ولكن بغضب وكأنها كانت السبب فى ذلك وإستطرد :

– عندما عدت لحضور حفل ميلادك الثامن عشر ، أعترف إننى ذهلت للتغيرات التى طرأت عليك ، لقد كنت فى الجامعه بعيداً عنك ثم قضيت تلك الشهور الستة مع ابى ، وانتقلت انت من فتاه صغيره فى الخامسة عشر وأصبحت أمرأه مرغوبه « تشيسى » أنت لا تدرين كم رغبتك ولكنى شعرت

إن ذلك سيكون غير لائق سيعد من سفاح ذوى القربى ، وعندما حضرت إلى غرفتى بالفندق فى اليوم التالى : قضيت ليلة كالجحيم لقد قضيت الليل ادخن واشرب الخمر وافكر فيك ماذا سيكون شعورك ، ماذا سيكون رد فعلك إذا كنت قد ابديت رغبتى ذلك اليوم.

– ولكنك اختفيت وحسب .

– كان لكلينا أمور تحتاج إلى تنظيم .

– اتعنى إنك لم تشبع فضولك بشأن شعور ابنه العم اذا طلبت معاشرتها وكان هذا هو وقت الرحيل مرة ثانية ؟

– لا كان هناك والدك فى الحسبان .. اللعنة . اين شجاعة قول الحق اتذكر ؟ لقد رايتنى واعجبت بى وظننت كذلك إنك ستنالنى فقد قررت أنت أن تضيف بيلدر يدج سيكون لها الشرف بذلك

تحدث وأحست إنه قد يكون صادقاً فقال :–

– فرانشيسكا ، فليساعدنى الله ، كيف يمكننى أن أشرح كيف أثرت فى ؟ وكيف لا تزالين تؤثرين فى

– لا تتعب نفسك .... أنا سأقول لك بالتفصيل كيف أثرت فيك ؟ لقد كنت تعاملنى دائما على إننى إبنة عمك الصغيرة المخلصة واحدى ممتلكاتك الخاصة ؟ وعدت من الجامعة لتجد انى قد كبرت لأصبح أبنة كبيره ، اقل اخلاصاً فى الظاهر ، تراقص الرجال كما قلتها من قبل لقد اردت ان تذكرنى بمن هو الزعيم ان تطبع على علامة الامتلاك ، وهنا شعرت بالأشمئزاز من نفسك لانك حولت كل هذه المشاعر الأخوية إلى رغبة جنسية خالصه ومتأججة ، لقد قلت انت الآن إنه شعور بسفاح ذوى القربى كنت دائماً ترى الأمر هكذا اليس كذلك ؟ لقد اصابك الغيثان يوم الفندق فقررت الرحيل والبقاء بعيداً ، لانك لم ترد مواجهة الأمر او لم تؤتيك الشجاعة لتتقبل شعورى نحوى إيا كان .

– يالها من خطبة ، ولكن بعض ما فيها صحيح

– أنا متأكدة انه صحيح

شعرت أنها متعبة كان الألم فظيعاً ولم تعر تحتمله اكثر من ذلك فاستطردت :

– لقد كنت مستغرقا فى ذلك ، لم تعر شعورى اى اهتمام مطلقا ، والآن يعيد التاريخ نفسه ، ولكن لا تغير كثيرا ، كل ما اثبته انت اليوم هو أن هناك نوعاً من ..من الجاذبية الجنسية بيننا ، وماذا بعد ؟ لست فى حاجة لان تعتقد أن هذا يعطيك هذا فلديك شارمين لتجلب لك السعادة ، تصبح على خير .

اتجهت نحو الباب وشعرت أن ساقيها يحملان اكياساً من الرمال وقالت:–

يا ليتنى لم اسمح لنفسى بالحديث عن الحضور إلى حفلك الليله .. لا تقلق أنا اعرف طريق الباب .

الفصل السابع

الحقيقه الشجاعة

– دقيقة واحدة !

وقف سول وقد سد عليها الباب وأضاء المصباح فأنار المكان ، فكانت ملابسها مرتبه ، وبإرتباك تخيلت فرانشيسكا رد فعل أى شخص يراهما ، وجه لها سول الحديث قائلاً :–

– من تحدث معك بشأن الحضور هنا الليلة ؟

– انا وسارة- صديقتى سارة مكلارن .

– وكيف استطاعت أن تنجح فيما فشلت أنا فيه .

لم يكن هذا وقتاً مناسباً لان تتشجع وتقول الحقيقة ولكن بدا لفرانشيسكا لحظتها انه لن يكون هناك ابداً هذا الوقت المناسب ، فهذا اللحظة بعيو بها الكثير ، كانت تفى بالغرض فقالت بصوت أجش :–

– من الواضح أن هناك شائعة فى القرية .

– شائعة !

– عن مسلكى معك قد يبرر الناس فى استخلاص نتائج يربطون الاحداث بعضها ببعض ويستنتجون ما يريدون .

– فهمت

– حقاً !

بدا أن سنوات الغضب قد بعثت فى رأسها واجهته وقد اتسعت عيناها الزرقاوان واضافت

– اننى أشك فى ذلك ليس لديك أى فكرة عما يكون الأمر ... أن تكون

مثار عطف الجميع ثم تصبح بعد ذلك محط فضولهم .. كان مرض أبى يعنى لى إننى مرتبطه ومكلفة أخلاقياً بالبقاء فى « هيل ميد » لم استطع أن آخذ طفلتى ،أذهب الى مكان أكون فيه مجهولة إذا حدثت لك مشكلة تافهة فى قرية صغيرة مثل « بيلد ريدج » يسارع الناس فى البدايه ليساعدوك ولكن بعد ذلك يشعرون أن لديهم الحق فى التدخل فى كل كبيرة وصغيرة فى حياتك وتصبح من ممتلكاتهم فإذا اخرجت أنا لتناول وجبة مع صديق وجدت تلال من ردود الفعل تستمر لاسابيع بعدها ، لقد كنت هدفاً لعدد مثير لا بأس به من المشاعر الانسانيه مثل العطف الفضول وكنت كذلك هدفاً لعدد لا بأس به من الاحقاد والشائعات المغرضة .

توقفت لتلتقط أنفاسها ولاحظت تغيير سول الجامد الذى استقر على وجهها المتأجج واضافت فى حماس :–

– ماذ اظن مديرة المنزل الجديدة السيدة « فين » قائل إذا رأتنى وأنا أخرج من هذا المكان بهذا الحال وأنا مترية ومشعثه الشعر ؟

وعادت نبرة سول الى السخرية وهو يقول :–

– قد تفترض انك كنت مستلقيه على هذا الشيزلونج وحسب .

وحملقت اليه فى غضب وقالت :

– الأمر ليس مزحة

– قطعاً الأمر ليس مزحة على الاطلاق ، ولكننا على الأقل لم نضبط فى حالة تلبس

– الن تكف عن استخدام هذه الكلمات اللاتينيه الفظه – هى على الأقل كلمات مختصرة محددة ولها معنى أنها اكثر مما يمكن أن يقال عن اللف والدوران الذى تتبعيه ، فهل تخبرينى مباشرة ما الذى تريدين قوله ؟

كبتت فرانشيسكا رغبة جامحة فى ان تصفعه واضافت وهى تجز على اسنانها :–

« من أجل لوينا ، أنا لا يفترض أن اشاهد فى مواقف تثير اللفظ

وافقها سول دون ان تغيير وقال :

– « أن سمعتك فى خطر »؟

– « نعم »

لم يكن هناك فائدة ، لم تستطع الاستمرار لقد ظنت ان بإستطاعتها أن تجزه ولكن اليأس ملأها ، اخذت خطوة فى إتجاه الباب وهى تتجنب نظراته الساخرة وقالت :

– « من فضلك دعنى أمر »

– « بكل تأكيد »

ولم يتحرك سول ، كان هناك شىء فى عينيه جعل دماءها تغلى وقال:–

– « هل يجب أن نتسلل إلى أسفل منفصلين حتى لا يشك أحد إننا كنا بأعلى سوياً »

– « سول الأمر ليس هزراً ، انا مطالبة بمراعاة الآخرين فى كل لحظات حياتى أن رزقى يعتمد على هذا ، إن امهات تلاميذى سيسارعن إلى تحويلهم الى أماكن أخرى إذا أمسكن على لو شبهه فضيحة »

– « الا تظنين انك مصابة بالبارانوياً »

– « ليس لدى علم بذلك ، ولكن اذا بدأ الناس فى نشر الشائعات عنى وعنك ..»

توقفت فى تردد وهى ترى ومضة رد الفعل فى عينيه ثم اكمل لها سول جملتها بصراحة قائلاً :–

– « قد يظنون إننى قد أكون والد « لوينا »!

وإحمر وجه فرانشيسكا ، وفجأة بدا سول مثل الحيوان المفترس يحوم حولها بهدوء وبرود حول فريسته امتلأت الغرفه بهدوء قاتل لدرجة إنها كانت قادرة على سماع اطياف اصوات الحفل بأسفل .

إرتسم على وجه سول تعبير بالانهام أسابها بالإرتجاف وهو يقول :–

– حسناً ، اخبرينى الآن يا فرانشيسكا ، انا مهتم بالفعل بأن أعرف ، هل هناك فرصة ولو ضئيلة بأن هذا الكلام قد يكون صحيحاً ؟

بدأ أن الكلام يحتاج إلى مجهود كبير ، بدت مشدودة نحو الكفاح ،

ولكن انقذتها كبرياؤها وغيظها المكبوت الذى دفعها للصمت طويلاً .. فقالت وهى تهز كتفها بأستهانة :–

– « نعم ، مادمت مهماً بمعرفة ذلك لهذه الدرجة

التفتت وسارت عبر الغرفة ذات الأرضية الخشبيه ووقفت بجوار النافذة واخذت تنظر الى الظلام فى الخارج ورات سول بهيئته الطويله يقف بجوار الباب بلا حراك وكانه قد تحول إلى حجر ثم قال :–

– « لوينا ، إبنتى »

كان عليها لكى تحافظ على كرامتها أن تبقى هادئه ساكته .

– « فرانشيسكا ، تقولين أن لوينا هى ابنتى أنا »

كان هذا هو كل ما تريد أن تسمعه ودق قلبها عنف ، طالما تخيلت هذه اللحظه طالما تمثلتها فى رأسها وهى ممددة بلا نوم على سريرها ، وهى تداعب طفلتها الصغيرة فى ساعات الصباح القليلة وهى تطعمها او وهى تقص عليها الحكايات لتدفعها للنوم .

فى ثلاث قفزات اصبح سول أمامها ممسكاً بكتفيها وأدارها لتواجهة ، كان القناع الذى على وجهة يبعث على الرعب ، فعاجلته قائلة فى صوت مرتعش :

– « هل ستسألنى ما الذى يجعلنى متأكدة ؟ كيف تكونى متأكدة من أن طفلتى لم تكن لجوليان او انتون او بيفل ؟

– ورددت الاسماء عليه فى غضب ثم استطردت :–

– « حسناً ، لا يمكنك بكل تأكيد من ذلك خاصة مع فتاة فى مثلى تساورك الشكوك نحوها دائماً .

هزها سول هزة خفيفه وقد إسودت عيناه

– « فرانشيسكا ، استحلفك بالله ، لماذا لم تخبرينى ؟

– « لانك لم تكن تصدقنى »

– « تشيس »

– « لم تتورع عن اتهامى بمعاشرة كل هؤلاء الأصدقاء ، لقد كنت

مصراً أن تظن بى السوء ، حتى ولو لم يكن السبب هو خلافك مع أبى فقد كنت إنسان أردت أن اخبره ، ولو كانت لديك القدره على فهم إنك كنت الرجل الوحيد الذى عاشرته .

– ماذا ؟!

– « اترى ، كنت أعلم انك تصدقنى ، لا يهم على أى حال ، ولكن يجب أن يكون واضحاً إننى لا اطالب والد لوينا بأى شىء ، صدق ما تشاء ، لقد ظننت أن هذا هو الوقت المناسب لان أقول الحقيقه الشجاعة .

سقطت يدى سول من فوق كتفها كان ينظر اليها كما لو كان يراها لأول مرة وحملقت فيه هى الآخرى وفجأة أصبحت غير متأكدة من شعورها الداخلى ، إنها لا تشعر بشىء لم يعد السر سراً ورغم ذلك لم يعطها إخراج هذا السر اى رضا شخصى وبدأت تشعر برجفه فتحركت وسارت نحو الباب وهى تقول :–

– « انا عائده للبيت »

– « سأقوم بتوصيلك »

وصلا إلى باب الغرفة ففتح لها الباب ، وبنظره خاطفه إلى وجهه تأكدت أسوأ مخاوفها ، كان سول خانقاً بشكل مخيف ، لقد اصابتها الباردة فى عينيه بالتجمد .

– « استطيع العودة وحدى »

– « هيا ـ بنا فحالتك لا تسمح لك بالقيام »

كانت رعشتها تقلقها للغايه ولكنها لم تستطع وقفها ، أهى بفعل الصدق ، أم توتر لمشاعر ايا كان سببها ، فقد شعرت أن ساقيها يرتجفان فى غضب وكانت تعلم أن سول لا محاله قد لاحظ ذلك فسألت :–

– « وماذا عن سيارتى »

– « سأقودها أنا وسأعود على ظهر احدى جوادى الموجود بالاسطبل »

– « سول ، اذا خرجنا سوياً ، الناس .... »

– « أنا لا أعبأ بما سيظنه الناس »

وإندفع ساحباً إياها وراءها على الدرج عبر البهو ، وكأن الحظ فى انتظارهما فإن الشخص الوحيد اللذان مرا به هو روزافين التى نظرت عبر باب المطبخ المفتوح لتراهما وترى مظهرهما المشعث المعفر بالتراب ورفعت حاجبيها بطريقة تنزر بما سيكون عليه موقف فرانشيسكا أعلم القريه كلها فى الصباح .

– شكراً جزيلاً .

بعثت اليه بهذه التحيه في غضب وقد تقدم للقيادة واردفت :–

– « والآن سيكون الخبر قد أذيع فى كل أنحاء شرق « ديفون » عندما تدق الساعه التاسعه والنصف صباحاً ».

= « وما المشكله ؟ سيعرفها الجميع إن عاجلاً او آجلاً أننا سنتزوج وان يحدث شىء إذا سبق أحد بنشر الشائعات .

– « نتزوج ؟!»

وإنفجرت وهى تستدير نحوه بسرعه واكملت :

– « هل انت مجنون ؟!»

اوقف السياره فجأة خارج هيل ميد وهو يقول :–

– لم اكن اكثر عقلاً فى حياتى اكثر من الآن .

قال ذلك وهو ينظر نحو نوافذ الغرفه المظلمه واستطرد :–

– « ها هى إبنتى الصغيره تنام هناك ، لقد حرمت من اول ثلاث سنوات فى حياتها وأنا اتساءل هل سأظل محروم منها اكثر من ذلك ، فبحق السماء لو كنت أعرف ان لوينا هى ابنتى لم اكن لا اتخفى وأقدم محاولات مجهولة لشراء هيل ميد .. لقد تقدمت بالفعل بعرض لم يكن بإستطاعتك رفضه .

– صمتت فرانشيسكا ودق قلبها فى عنف وقالت أخيراً بصوت غير صوتها مفعماً بالغضب والحنق اللذان تفجران بداخلها :

– « انت ؟ أنت صاحب العرض المجهول لشراء هيل ميد ؟»

– « نعم أنه أنا والآن واكثر من ذا قبل لا يزال العرض قائماً سأباشر

أنا كل شيء وهذا يشمل الأنسه ، فرانشيسكا وبين وأبنتها لوينا »

تحدثت فرانشيسكا بصوتها التفاض الذى اعتادت ان يجذب به الانتباه

– سول اعتقد أنك غير متفهم الموقف ، أنا ولونيا لسنا معروضتين للبيع وبالنسبة الزواج .. الزواج يحتاج إلى موافقه الطرفين ، فالعلامات تنجح فقط من خلال الفهم المشترك وتقدير الطرف الآخر والمشاركة العاطفية ، أن تسبب فى حملى ثم تختفى لمدة أربع سنوات لايعطيك الحق فى أن تذهب بى الى الكنيسة وانت مصوب ببندقتيك .

– « اه تشيس ». إخلدى النوم الآن وسنتحدث فى هذا الأمر فى الصباح .

كان على طرف لسانها أن تحتج أن تخبره بانها لا تتلقى الأوامر من أحد، لانها لا تنوى أن تتحدث فى الأمر غدا ولكن غمرها الاعياء فجاة فلم تقوى على الكلام . نزل سول من السيارة وتوجة نحو باب فرانشيسكا وساعدها على النزول من العربه فى تحفظ رقيق مناقض تماماً لكلماته الجارحة ونظرات عينيه القاسية . قبل أن يذهب سول فى تجاة الاسطبلات وقف يشاهدها تفتح الباب الأمامى وإنتظر حتى أضاءت المصباح . ظنت بإختصاره انه سيتقدم يقبلها ولكنه نظر اليها للحظات وعلى وجه تعبير حذر ثم قال :

– « تصبحين على خير »

– تصبح على خير

وانفصلا بشكل رسمى ، وإستعدت فرانشيسكا للنوم وقد انتابها شعور بالغضب والإنزعاج وإنها بشكل ما مهددة رغم إنه لم يكن هناك اى سبيل منطقى يمكن سول من أن يفرض نفسه على حياتها .

تسللت فرانشيسكا الى حجرة لونيا قبل أن تنام محدقت النظر فى الوجة الشاحب المطمئن الذى يرى بوضوح فى ضوء السماء وقفت فرانشيسكا تنظر نحو الطفلة النائمة وأخذت تستعرض التفصيلات الدقيقه

، الشعر ، الوجه ، الشفاه ، اليدين الصغيرتين وخمنت لو إستطاعت لحظتها أن تضمها بين ذراعها وبدلاً من ذلك لفت ذراعيها حول عنقها وإستندت برأسها على مرفقها ، كانت لا تزال ترتعش فى رداء نومها القطنى . وفكرت كيف يجرؤ سول أن يكون بمثل هذا الغرور ، وأن يعود إلى بيلد ريدج بثروته الطائلة عارضاً شراء كل ما لديها ، حتى حريتها ؟

تجمعت الدموع فى عينيها وهطلت فى سكون على وجنتيها ، لماذا تبكى ؟ سألت نفسها فى نفوذ صبر لم يسبب وجود لونيا فى حياتها الا المتعة ، كان حبها لهذه المخلوقة الصغيرة الفريدة من نوعها خاص ، وفكرت كيف يمكن لشيء بهذه الروعة وبهذا الجمال أن يخرج من وسط هذا النزاع الوحشى ؟الا ليس نزعاً وحشياً فى كل جوانبه ، كانت الصراحه الخطيرة التى شهدتها هذه الليلة قد محت كل الدقائق الثقيلة .

من المحتمل انها تكره سول فى الوقت الحاضر ولكنها لا تستطيع انكار مشاعرها نحوه كانت ذات يوم مثل مشاعرها تجاه لونيا ، لقد عاشت له ، كانت الحياه تبدو كئيبه ورهيبه عندما كان يذهب إلى المدرسة وعندما يعود كان العالم يزدهر ويتلألأ من جديد هل فطن الى مدى إفتقادها له عندما ذهب إلى الجامعه ؟ بدأ أن كل الأمور قد تأخرت لتجعل من إبيها شخص لا يطاق معاشرته . وفاة أمها المأسوية ، غضب إبيها وثورته على بيع منزل عائلة او بين ورغم ذلك شعرت فرانشيسكا انه يفضل أن يباع المنزل على ان يرثه سول .

لم تجرؤ فرانشيسكا أن تخبر أباها عن طموحها ، ورغبتها السرية فى دراسة المسرح فقد ارادها أن تجعل ركوب الخيل ورعايته عملها الأوحد ، وبمعنى أدق ارادها ان تساعده فى ادارة هيل ميد ، لقد اراد ان يشعر إنها ستواصل عمله الصعب فى المستقبل ، لقد توقع منها أن تكون مثل أمها التى عايشت الخيل وأحست به اكثر من أى شيء آخر وارادها كذلك أن تتزوج جوليان هار بنجتور جرين ليربط العائلتين مما يقرر وضعه وعندما عاد سول لحضور حفل عيد ميلادها كانت عودته بالنسبة لها هى

عودة الفارس على جواده الأبيض لإنقاذها ولكن سارت الأحوال أمام سول هو الآخر وفى صمت إستدعت تلك الليلة المشؤومة .

وفى تلك الليلة دفعها الحزن الشديد لان تسلك مسلكا سيئا فى حفلها، فقد اطلقت شعرها لينسدل على كتفيها وظهرها ووضعت مكياجاً والمساحيق بشكل غير طبيعى وإستعارت رداء جريئا من سارة يرتفع الى منتصف الفخدين وقد سببت بتصرفاتها هذه إثارة الضيوف الرجال ، كان اليوم فى شهر يوليو الحار وكانت عائدة لتوها من رحلة على الشاطىء أضفت على جسدها لوناً برونزياً ضاعف الراءه الساخن إبرازه ودخل سول إلى الحفل ، طويل ، داكن البشره ، بهى الطلعة ، رجل وليس صبياً ، كان يرتدى رداء أسود ، وفى أذنيه قرطاً غجرياً من الذهب ـ لقد جعل كل الفتيات يمدن اعناقهم ليحملقن فيه وإمتص إنتباه الإناث بنضجه المدروس ، لم تكن تمثل السنوات الأربع بينهما اى فجوة وفجأة لم يكن يكفى أن يتشور على البرود الشديد لجوليان عن طريق استعراض دلالها مع كل فتى تراقصه لقد ارادت أن تراقص سول ، ارادت منه أن يتقدم ويحدثها ، أن يقف بجانبها أن يسد الفجوة التى ظهرت لتباعد بينهما ..

وقفت فرانشيسكا وقد طفى عليها الارهاق ، ولثمت الطفله النائمة برقه على جبهتها وانسحبت عائدة الى غرفتها .

القت بنفسها فوق سريرها ، كانت رأسها مملؤة بالتوتر والقلق وطافت بمخيلتها صورة وثبتت فى رأسها ، كانت الصورة صورة سول ، ولوينا ، وهما يجلسان فى المطبخ صباح اليوم وكأنهما عائلة اب وإبنه يجلسان ويتناولان التوست معاً .

لم يتوقف رنين التليفون فى الصباح ، كارول ثم سارة يسألان عن اختفاء فرانشيسكا المفاجىء من الحفل ، وكانت المكالمة الثالثة من جابريل اندرادا يدعوها الى حضور مباراة بولو الإستعراضية خيريه فى نادى بيركشاير الملكى الأسبوع القادم وعلى سبيل الدفاع أمام الهجوم الارجنتينى السريع ، لم تعطيه رداً قاطعاً ، لقد أثار غضب سول ليلة

الأمس كبرياءها وغيظها فى الوقت نفسه ، ولكن حتى مجرد فكرة أن تقبل دعوة صديقه جابريل أصابت أمعائها بالتقلص مع درجة من الجبن الصحى .

بعد أن تخلصت من عروضة بأن يأتى لأخذها بنفسه وأن يوفر لها حجرة مفردة فى الفندق عن طريق ممول المباراه ، عندما لم يجد استجابة او يحصل على تعهد إستسلم وأعطاها رقم هاتفه تحسباً بأن تغير رأيها ، أعطاها رقم هاتف فندق « دار تفيون » مسبباً إسترجاع ذكريات اليمة بعد أن وضعت سماعه الهاتف هذا هو الفندق الذى يقع بالقرب من « هيل ميد » « ولى بارتون» من الخلف الفندق الذى نزل به سول عندما حضر لعيد ميلادها الثامن عشر .

كانت معاملته لها وقتها وسلوكه معها ليلة الأمس ، جعلها تتمنى لو انها قبلت بهدوء دعوة جابريل بدلاً من رفضها الحنر .

كيف جرؤ سول على إضطهادها بتهديده بالزواج ؟ إن هذا هو ما يسوى الأمر . هل يعتقد بالفعل أنها ستوافق فى خضوع على الزواج به ؟ وهو قد اقترح ذلك مدفوعاً باحساسه بالواجب ، وتوافق على بيع هيل ميد له ، فقط لانه يريدها ، أن كلمة مغرور كلمة تافهة إذا اردنا وصف سول جالاجروانه حتماً مجنون بقوة .

وماذا عن شارمين ؟< تساءلت فرانشيسكا ، هل مرنها سول جيداً على أن تتنحى جانباً وتتركة ليتزوجها بامرأة اخرى ؟ او ربما تكون تقوم بشغل وقتها فحسب ، على اى حال فإن شارمين هى نموذج المرأة التى يفضلها سول ، فبعدا اربع سنوات من الصمت بدا أن مغامرتها الجنسية الاولى والأخيرة معاً اثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن فرانشيسكا ليست نموزجة المفعل .

عندما رن جرس الهاتف مرة ثانية رفعت السماعه فى حزر وتوقعت أن تكون المكالمة من سول ولكنها كانت من هوار دجراها إنه فى ديفون على غير توقع ، لقضاء عطلة نهاية الاسبوع وكان يسأل أذا كانت مستعدة

لوجبة سريعه مساء اليوم ووافقت فى حماس والواقع إنه لو اتصل بها جميع الاعضاء الذكور فى الجمعية البريطانية لسباقات القفز وطلبوا منها موعداً لكانت حجزت نفسها لهم طوال ليالى الشهور القليله القادمة .

فإذا كان سول لا يزال يفكر فيها كأحدى ممتلكاته الشخصية يأمرها فتطيع فهى حريصة على تغيير هذه الفكرة بأقصي سرعة ممكنة .

بدا الاسبوع مشغولاً بالعديد من الأمور ، ادركت ذلك وهى تنظر فى مفكرتها اليومية فى مكتب إدارة الاسطبل .

كانت فرانشيسكا تدرب لوينا على جوادها « كوبر » وفجأة نزلت لوينا من فوق الجواد وتركت فرانشيسكا وجرت نحو سول عندما ظهر فجأة وسط الاسطبل على جواده .

– « سول هل استطيع ان اركب جوادك ؟ ما أسمها ؟»

كان كلبها الصغير سبابك قد تبعها واخذ يلعب وينظر بسعادة نحو سول مما هيج جوادة الكبير .

– ما أسمه ـ إنه ذكرو أسمه « شادو» بإمكانك الجلوس على ظهره أن اردت .

رفعها فى الهواء واضعاً إياها على ظهر الجواد وهو يمسك باللجام ليؤمنها . كانت هناك نظرة تملك؛ لا تحطئها عين تنبعث من العينين الرمادتين تجاه الطفله الصغيرة الجالسه بلا خوف على ظهر الجواد الاسود الكبير ، واصابت النظرة قلب فرانشيسكا بالتخبط ، وعندما توجهت اليهما تلاشى الدفء والابتسام من على وجهة وتحولت إلى هذه القناع المجرد وهو ينظر نحوها .

– ارد أن احدثك حديثاً ـ خاصاً ـ هل يمكننا التجول بالخيل سوياً ؟

كان امراً اكثر منه طلباً وهى تقول :–

– « أنا مشغوله هذا الصباح ـ ثم إنه ليس هناك ما يقال »

كان مظهره خلاباً ، وحولت عينيها بسرعة محاولة استبقاء ، مشاعرها تحت السيطرة

« فى هذه الحالة ، فقد جئت فقط لأقول سأتغلب عليها بقوة إستعداد فانا فى حاجة إلى ترتيب أفكارى فلم اكن متعقلاً ليلة أمس ، وقلت بعض الأشياء القاسيه فى لحظات الانفعال .

كان الألم الذى إجتاحها لا يتناسب إطلاقاً مع الكلمات البسيطه التى قالها ، فماذا دهاها ؟ لقد أصابها الرعب متى يأتى اليها سول ويلقى عليها موعد الزفاف ، والآن ولأنه أظهر حاجتة لإعادة التفكير فقد شعرت باللوم ، لقد غاب المنطق عن الامر كله .

كان « شادو» يلعق صدر سول وكانت لوينا بإهتمام شديد تتحسس عضلات رقبته القويه .

– « سول هل يمكننى التريض معك .» واضافت فى توسل

– « سأركب أنا كوبر »

– موافق لاحدة حول المضمار »

وسألته بعد ما عاد من جولته مع لوينا واصرت الا تعكس نبرتها أى اهتمام .

– « متى ستعود »

– « فى خلال سبعة ايام »

– « هل ستترك شادو هنا ثانياً ؟»

– لا فالسائس يقيم الآن فى « لى بارتون » وسأقود شادون عائداً إلى هناك.

وبدلاً من ان يقوك سلام الى فرانشيسكا أنزل الصغيرة من فوق جوادها واخذ يداعبها ، ثم إحتضنها واوقفها على الارض وهو يحدثها .

– « الى اللقاء ايتها الصغيره سأراك فيما بعد »

– « الى اللقاء يا سول »

وفى صمت إطلق تابعته فرانشيسكا وهو يبتعد .

كانت فرانشيسكا سعيدة لان مراجعه الحسابات ستشغلها لمدة ساعه او ساعتين بينما تصطحب إيلين لوينا إلى المدينه لشراء هدية عيد ميلادها

لا حد زملائها فى المنتزه كانت منهكمة فى حساباتها عندما رن الهاتف كانت شارمين بارون وبدأ صوتها مهتزاً وقالت دون مقدمات :-

- « أود رؤيتك »

واسرع نبض قلب فرانشيسكا وعقدت المفاجأة لسانها وأخذت تنظر الى نفسها فى المرأة التى امامها ، وتابعت شارمين حديثها قائلة .

- « هل يناسبك مقابلتى فى حوالى الثامنة مساء »

- « أسفه لا يمكننى »

- « هل ستخرجين الليلة »

- « أنا »

اللعنة على هذه المرأة وفكرت فرانشيسكا بسرعه وما شأنها هى ، فأجابتها :-

- « سأتناول الشراب مع صديق »

- « اه حسناً ، يمكننى أن أقابلك هناك أين ستشربين؟»

- « لا اعتقد أن ... »

قاطعتها شارمين .

- « لن يستغرق الحديث طويلاً »

غمرها الفضول فجاة وقضى على مقاومتها فأجابت فى أدب :-

- « اسمعى ، سأكون فى « بيل » إتناول وجبة سريعة فيما بين الثامنة والعاشرة ولكنى بالطبع لن اكون وحدى ، فإذا كان هناك امر ... امر خاص تودين مناقشته واذا كان امراً عاجلاً ، فلماذا لا تتحدثين عنه الآن فى الهاتف؟»

- « اننى افضل التعامل مع الامور وجهاً لوجه ، كما إنى مشغوله اليوم بحزم حقائبى »

- « اه ، فهمت »

عاودها الألم وعضت بقوة على شفتيها حتى تمنع نفسها من توجيه شىء جارح للسيدة فاردفعت قائله دون أن تتخلص من سخرياتها الجافه :

- « هل يجب أن أقول اننى أتطلع إلى رؤيتك ؟»

- « هذا يعتمد على ما سيكون ، الى اللقاء »

مر اليوم كغيره من الايام وكان الشىء الوحيد الذى اثار اهتمام فضولها هى مكالمة شارمين الغامضة .

- « فرانشيسكا انك الليلة هادئه اكثر من اللازم ، هل انت بخير ؟»

وضع هارولد يده على راسه بإهتمام وهو يحدثها فقالت :

- « هناك امور تدور بعقلى انا أسفه يا هيوار ، ما كان على أن اوافق على الخروج معك الليلة »

- « لا تقولى ذلك لقد مرت فترة طويلة دون ان اراك ، فخر وجك معى لتناول وجبة هى احدى العلامات البارزة فى زياراتى الديفون »

- « حقيقة استمتع بها ، فقد إستمتعت اليوم بسماع حكايات « الجمعيه » هوارد أنا حقاً اقدر صداقتك »

- « وأنا كذلك اقدر صداقتك بشدة ، والحقيقة اننى كنت سأسألك »

وقاطعتها شارمين ، ومهما كان هذا الذى سيقوله « هوارد » فقدتك شىء بقدوم شارمين باناقتها المعتادة وهى مقبلة على طفولتها .

- « آه . ها انت ذا ؟»

وقف هوارد وسحبت كرسياً لها ولكن شارمين وقفت مكانها وهي تعتذر قبول عرضه بتناول الشراب .

- شكراً جزيلاً ولكن ارجوك لا تزعج نفسك ، فانا لن ابقى طويلاً

مضت فترة من الصمت كان ثلاثتهم يتناولون النظر خلالها فى شك .. وشعرت فرانشيسكا بفزع من التعبير الذى قرأته على وجه شارمين ، وكانت نظرة شارمين تمتلأ بالحق والكراهية وهى تنظر الى وجه فرانشيسكا الذى يخلو من المساحيق .. قالت شارمين :-

- « حسناً ، لقد أخبرتنى انك لن تكونى وحدك ولكن يجب أن أخبرك ، لم اكن اتوقع ان تكونى بصحبة رجل »

حافظت فرانشيسكا على تماسكها ولم تستطع تصديق ما سمعته

فقالت :-

- ماذا ؟ شارمين لقد قلت أنك تريدين رؤيتي الليلة ، فهلا قلت ما تريدين اذا سمحت ، لقد شهدت يوماً طويلاً شاقاً وأعتقد أن من حقي الاستمتاع بكاس فى هدوء »

اجابت شارمين فى نعومة :-

- ليس لدى الكثير لأقوله لك فى الواقع ، انا فقط اريد ان اشبع فضولى بما أن لدى كافه الأسباب لان أعتبر نفسى مخطوبة لسول ، فقد اردت فقط أن أخذ نظرة من قريب على المرأة التى يزعم سول إنه سيتزوجها!!»

نظرت نحو فرانشيسكا وهى تبتسم إبتسامة لا روح فيها ثم تابعت حديثها قائلة :-

- لا تقلقي نفسك فى انتظار أن يعيد طلبه مره أخرى يا عزيزتى ، سينتهى بك المطاف لتتحولى إلى ذبالة داكنة منبوذة ، فبعد دقائق قليلة سأطير أنا وسول إلى لندن لقضاء عدة ايام معاً واذا لم تكونى سيئه الفهم الى حد كبير أعتقد أن ذلك يخبرك بما تحتاجين معرفته !

الفصل الثامن

عالم خيالي

لن تظل صداقه فرانشيسكا لهوارد جراهام على ما كانت عليه بعد الآن ، فكرت فى ذلك وهى تستعد لاستضافه كارول على غداء وداع فى اليوم التالى . فقد كانت الاهانات اللفظية التى وجهتها لها شارمين بارون فى الليلة الماضية تسبب حرجاً شديداً لصديقها هوارد حتى انهما افترقا فى المساء فى وداع رسمى جاف .

كانت حياتها تشهد أحداثا غير ساره دفعتها لان تفكر فى لو انها تقفز فى الهواء وتختفى فى مكان مجهول لتشفى مما هى فيه ، كان سلاحها الوحيد فى غياب سول ، وبسبب حاجتها لتظهر الشجاعة امام لوينا هو ان تخلد الى الهواء وأن تنتظر التطورات اللاحقه ، ولكن كان يغمرها شعور يائس يزيف كل شىء .

استمر هدوءها غير الطبيعى طوال اليوم تقريباً وساعدها ذلك على ان تسأل كارول عن شارمين بارول وهما سيران وسط المروج الخضراء بعد الغداء ، وبدا أن كارول كانت تجهل خطط سول مثلها تماماً ، وبغض النظر عن الماحها إلى أن والدها لابد لديه دافع قوى للانتقال الى ديفون مرة أخرى والاقامه فى لى بارتون ، ثم تعبيرها عن حزنها لأن الجامعه لم تمنحها اجازة طويلة لتستمتع بصحبة الطفله الصغيره - بغض النظر عن كل هذا - كان كارول شخصيه حياويه وهو أمر جدير بالثناء .

حاولت كارول أن تتفهم الموقف والا تشعر بالألم ، فقد تأكدت أن

www.elmanara.com

ابتعاد كارول بوعى ورفضها التدخل كان نابعاً من خبرتها الطويله مع الاقارب والاصهار ، فقد ادى التدخل العائلى الى فشل علاقتها بوالد سول ، كانت زوجة الغجرى المنتمية لقانون « جورجيو » قد فرت من العشيره ، ومره ثانيه ادى التدخل العائلى الى حدوث مشكلات لا حصر لها اثناء زواجها بهارى .

أحست فرانشيسكا بالذنب لأنها لم يستطع أن يضع ثقتى فى كارول ، كانت مفعمه بالشكوك وأنهام الذات

كانت كارول تتحدث عن لوينا على انها ابنة شقيقتها ، فماذا ترى سيصبح شعورها حين تكتشف خدعه فرانشيسكا وأن لوينا حفيدتها ؟ كانت تعتقد ان ثقتها فى كارول من شأنه ان يضيف ضغوطا من المشاعر على سول ، فقد تبدوكأنها تعمل على ان تتزوجه وهى لا تريد ذلك بالقطع ، ليس فى هذه الظروف ، فلم يكن هناك حباً حقيقياً - ليس من جانب سول - لقد كانت مشاعرها اليه بدرجة يصعب تحليلها ، ولكن سول لم يحبها ، كان هذا واضحاً لو كان قد احبها لما عاملها بهذا الشكل المزرى طوال اربع سنوات وما كان ليرحل ليمارس عمله الممتع ويتجاهلها كليه حتى الأن.

وبعد ظهر ذلك اليوم تحول شعورها بالوحدة وهى تودع كارول ! احساس بالاحباط دخل انجس الى المكتب ليحصل على توقيع فرانشيسكا على بعض الأوراق وحملق باهتمام فى وجهها الشاحب المتجهم وهو يحدقها:

- هل أنت على ما يرام ، إنك تبدين كما لو كنت تنظرين الى أشباح»

- جائتنى أخبار من وكلاء الاملاك الزراعيه بأن أحدهم قدم عرضاً أفضل منى ، ولن أحصل على الأرض»

- آه ، كانت مزروعه كومب معروضه للبيع ، لقد سمعت بعض الشائعات فى العياده صباح اليوم ... فى الواقع انهم يرددون ان ابن عمك سول هو الذى اشتراها .

حملقت فنه فى غضب وهى غير مصدقه وقالت :

- ماذا ؟ .. سول ؟ هل أنت جاد »

اضافت وقد شعرت انها تحترق من الداخل :

- سول اشترى العشرين اكراً ، أنجس - هل انت متأكد؟»

- لا تنسى .. إنها مجرد شائعه - رغم انها من مصدر موثوق »

- شائعة لها دلائل فى الواقع !

بدأت تفكر وقد قبضت بيديها على الأوراق الموجوده على مكتبها .. لقد كان يسألها عن هذه الارض منذ أيام أه ... يعرف منها المبلغ الذى عرفته بالتقريب ودوافعها للشراء ثم يذهب هو دون علمها ويحصل عليها لنفسه وهذا يثبت أنكاره الوتسعيه ، إنه يحاول أجبارها ببيع هيل ميد أيضاً ، وشعرت أنها ستنفجرمن الغضب .

تصفحت دفتر الهاتف وهى تكاد لا ترى ما تفعل ، كانت تبحث عن رقم ما ووجدته وأدارت قرص الهاتف وهى تفكر وقد هدأت قليلاً اذا كان سول يتصرف بهذا الشكل ، وإذا كان قد أقدم على شراء هذه الارض رغم علمه بأن هذا قد يدمر خططها كلها ، واذا كان قد أعلن انهما سيتزوجان رغم أنه مرتبط بامرأه أخرى ، وإذا كان قد أقدم على اغتصابها فى لى بارتون - ما معنى كل هذا .. هل يعتقد ان بإمكانه أن يعود الى ديفون ويأخذ كل ما يريد فقط لأنه الآن اصبح ثرياً وقوياً ، أن يأمرها بطاعته كالجاريه فى غمرة القوة التى بعثت فيه حين علم أنه والد طفلتها .. اذن لا مفر .. ستذهب الى بيركشير بصحبه جابريل ، وليذهب سول الى الجحيم .

كان أنجس ينظر اليها فى قلق وهو يسألها

- هل تهاتفين سول ؟»

اجابت فى هدوء وهى تستمع الى رنين الهاتف على الجانب الأخر :

- لا ، سول سافر الى لندن ... أنا فقط إرتب خروجى لمشاهدة مبارة بولو مع صديق »

كان الملعب الملكى مبهراً ، كان الجو دافئاً ، وكان كل شىء جميلاً وتمنت فرانشيسكا أن تقول بأمانه انها كانت مستمتعه للغاية

– « تبدين رائعه !

تذكرت فرانشيسكا قول ساره وهى تستعرض الرداء الأزرق الذى اختارته لها ليلائم المناسبه ، قالت ساره لها :

– تشيس اتعرفين أن لون عينيك وبشرتك يحدثان تأثيراً مذهلاً « هل سيكون سول هناك »

دار السؤال فى رأس فرانشيسكا فى هذه اللحظة لقد اجابتها وقتها بالايجاب ، ولم تسأل جابريل عن ذلك وهو الأخر لم يذكر سول مطلقاً طوال الطريق ولكنها عرفت بطريق ما أنه سيكون هنا وأنه سيلعب ، الم يكن هذا هو السبب الوحيد فى موافقتها على القدوم مع جابريل اليوم ؟ كانت الحقيقه المذنبه تدور داخل رأسها فى انتظار أن تطلقها فى اعتراف صامت امسكت جابريل زجاجه الشامبانيا وهو يوجه الحديث اليها :

– « هات بعض الشامبانيا علينا أن نحتفل »

وابتسمت فى ادب وهى ترفع حاجبيها فى تعجب وتقول:

– «تحتفل ؟ ـ نحتفل بماذا؟»

اصابتها صدمه وهى تفكر فى ذلك ، لقد ادركت أنها لا تعرف أى شيء عن هذا الرجل لا تعرف اى شيء عن هذا الرجل لا تعرف اى شيء يتعلق بشخصيته ، لا شيء يجعل منهما صديقان ، هو بالطبع زميل لسول فى البولو وهذا يحتمل أن يكون أمراً حسناً او سيئا ويعتمد ذلك على الوجه التى ستنظر للامر من خلالها .

كان كل ما تعرفه عنه أنه يقيم فى الريف الغربى لانه يريد شراء احد الجياد وكان حديثهما طوال الرحلة من هيل ميد الى هنا يتسم بالعموميه وتركز أغلبه على الخيول ثم تحول جابريل للحديث من الاصابات الحرجة التى مرت به او شاهدها خلال مبارات البولو العنيفه خارج أمريكا اللاتينيه حتى شعرت فرانشيسكا بالغثيان .

ها هى الآن فى كامل اناقتها ، ترتشف الشامبانيا وتقضى اليوم مع رجل غريب وفى غمرة حنقها على سول اعتمدت على وعد جابريل بترتيب

إقامتها فى أحد الفنادق لليله على أن تستقل القطار عائده إلى ديفون فى الصباح .. سألته :

– لماذا نحتفل ، لاتقل أنه عيد ميلادك ؟»

ضحك جابريل وهو يمسح بيديه على شعره الأسود

– « لا .. إنه ليس عيد ميلادي والواقع أنك لست مطالبه بالاحتفال انا الذى يجب أن أحتفل »

– « انا لا افهمك »

قال جابريل وهو يشاهد رد الفعل على وجهها .

– « احتفل بتحقيق نصر صغير على صديقى العزيز سول جالاجر »

حملقت فيه فرانشيسكا ثم ابتسمت بلا وعى وقد احمرت وجنتاها بينما اضاف جابريل :

– ها أنت تخجلين ، يا لك من فاتنه ، انت بحق فاتنه يا عزيزتى وأنا لى عظيم الشرف لأنك الآن هنا معى »

– « جابريل ماذ قلت عن تحقيق النصر

ارتشفت رشفه سريعه من كأسها وهى تنظر فى عينيه واردفت قائله :

– « اعتذر لك ، قد أكون مذنبه ، ولكن كان نفس الدافع هو ما جعلنى آتى معك اليوم »

– « آه نهمت »

كان لجابريل جاذبيه حزينه ، فكرت فرانشيسكا فى ذلك وهى تشاهد تفهمه للموقف ، فقالت وهى تدعو أن يكون متحكماً فى أعصابه .

– « أقصد أن هذا لا يعنى أننى لم آت كضيفتك اليوم ولكنى ـ ولكنى»

وبدأت تشعر بالانزعاج ، وضع جابريل يده حول كتفها وطبع قبلة على وجنتها وهو يقول :

– « لا تقلقى بهذا الشكل يا عزيزتى ، اعتقد ان عقل جابريل اندرادا ناضج بما يكفى لتفهم الموقف ، ولكنى اتمنى أن تكونى قد وجدتنى جذاباً تماما كما وجدتك جذابه للغايه »

قبل أن تتكلم قبلها قبله حاره ولم تدرك ما حولها الا وقد انتفضت بعنف بسبب الصوت العنيف الذى انطلق خلفها .

- « ما الذى يجرى هنا ؟! »

كان سول يلقى السؤال وفى صوته نبره توعد . تركها جابريل وقد امتلأت عيناه بالسخريه وهو ينظر الى الغضب المرتسم على وجه سول ، بينما تناولت فرانشيسكا جرعه من الشامبانيا وهى تتمنى ان يكف اصابعها عن الارتعاش .

- « فرانشيسكا ، ما هذا الذى تفعلينه ؟ »

- « أنا اشرب الشامبانيا ، وأقبل جابريل »

قالت ذلك وهى تبتسم فى رقه وقد لاحظت أن هذا هو الكأس الثالث وأن هذا الشراب سيؤثر عليها واستطردت:

- « وأنت ، أين شارمين الجميلة ؟ »

قال سول وهو يكاد ينفجر من الغيظ موجها كلامه لجابريل :

- « لو لم تكن هذه مباره خيريه ، لكنت واجهت الأمر في الحال ولكنى على الأقل سأشبع رغبتى باللعب ضدك »

سالته فرانشيسكا فى برود مقصود :

- « هل حددتما أنت وشارمين اليوم العظيم أم ليس بعد ؟ »

- « ما هذا الذى تتحدثين عنه ؟ »

- « انى اتحدث عن خطبتك لشارمين بارول ، إنه أمر عظيم لقد علمت انها تحمل تعبا شهيراً عندما قابلتها لأول مرة ، إن إباها يملك « خمور بارول » أليس كذلك ؟ وهو كذلك ويرعى بعض فرق البولو التى تلعب لها . سول يبدوا أنك بدأت تنقد حاستك فى البحث عن الشهره والثروه ... شارمين تعد صيداً ثمينا اذا قارنتها بى »

- « هل أنت مخموره؟ »

- « إطلاقاً ، سول إن هذا لا يليق برجل مهذب »

- « لم أزعم أبداً أننى رجل مهذب »

انطلق الصوت من المكبر يعلن الاستعداد ليبدء المباراه ، لاحظت فرانشيسكا شارمين بطرف عينها وهى تتجاذب الحديث مع مجموعه من عليه القوم ، ولاحظت ان عينيها توجهت نحوها عدة مرات وبدأت تشعر وكأنها تجلس على النار ، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى ندمت فيها على فكرتها المجنونه بالقدوم مع جابريل . قال جابريل وهو يتحرك فى اتجاه سول .

- « اهدأ يا عزيزى ، لقد كنت اعتنى بابنة عمك؛ إنها فى مأمن وهى معى ..

واجاب سول ببرود

- « اذا كان لأحد أن يهتم بابنة عمى ، يا عزيزى ، فهذا الأحد هو أنا »

دار سول واتجه نحو الملعب حيث كان ينتظره السائس ممسكا بجواده ، عبر السور وهو ينظر اليها وامتطى صهوه جواده وقال لها :

- « ساراك بعد المباراه »

كانت كلماته تحمل تهديداً ضمنياً ، وفى غمره حيرتها بين ان تضحك أم تبكى أن تسبه رفعت يدها ولوحت اليه برقه وهو ينضم الى بقية اللاعبين وتبعه جابريل- وبدأت المباراه .

طالت المباراه وكأنها لن تنتهى كان يجب عليها أن تمتع نفسها بالمباراه كالأخرين وأن تفصل نفسها وتعيش اللحظه وهى تتابع الصراع الدائر فى الملعب ، وكانت المشكله هى أنها مملؤه بالسخط والنقمه لقد تركها سول وهى تشعر أنها مثل تلميذه غير مطيعه تقف على باب الناظر تنتظر العقاب ، و استجمعت عزمها وكبريائها لتتقى بهما انفجارها من الغضب ولتتقى بها تفكيرها فى أن تتسل بهدوء وتذهب الى محطة القطار وتستقل أو ل قطار الى إكستير .

إبتسمت شارمين بارول فى غرور وهى تمر بجوار فرانشيسكا أثناء توقف المباراه للراحه وقالت :-

- « اهذا أنت يا عزيزتى ، أنا سعيده جداً لأن أراك توسعين دائرة

اهتمامك قليلاً »

فكرت فرانشيسكا من منطلق الثأر في إيجاد وسيله مناسبه لهجومها المعاكس ولكنها آثرت السكون فقد أدركت انها لا يجب أن تتدنى لهذا المستوى من التراشق بالالفاظ مع صديقه سول الوقحه فظلت فى مقعدها تتابع المباراة . انتهت المباره وجاء جابريل ويجواره سول فقال جابريل بحسن نيه :

- برافو يا صديقى ، رغم انك كنت تقتلنى فى الجوله الأخيره »

أجابه سول بحنان وعينه على فرانشيسكا :

- لا استطيع انكار رغبتى فى ذلك » . واضف موجها الحديث لفرانشيسكا .

- اعتذر لإفساد خططكما لما بعد المباراه ولكن هناك أمر هام يجب أن نتحدث بشأنه »

- ألا يمكن تأجيل ذلك »

- لا !»

أمسك سول بذراعها ، ولمح جابريل رد الفعل على وجه فرانشيسكا تأخذ خطوه للامام وقد اندفعت فى وجهه الداكن وقال محذراً والشرر يتطاير من عينيه :

- « السيده جاءت معى ، وستغادر المكان الأن ، معى أيضاً »

تجمع الغضب فى عينى سول ووقف ثلاثتهم وقد لفهم الصمت المشحون وتأجج الغضب داخل فرانشيسكا بسبب قلة حيلتها ، كانت أصابع سول تؤلم ذراعها ، لم لكن هناك مايمكن قوله لتخفيض حدة الموقف ووصل غضبها الى مداه ، كان سول يتصرف كشخص بربرى أحمق ، ولو أنها ناشدت جابريل لتخليصها لأشتعل الموقف أكثر وفجأة أحست أن مشهد الرجلين وهما يتنازعانها مخجلاً للغايه وسط المكان الراقى فى نادى اليولو . قالت فى تهكم :

- لا عليك يا جابريل ، فأنا وسول لدينا بعض الخلافات التى يجب

أن نسويها »

- وبالطبع يجب ان تسويا هذه الخلافات بمفردكما؟»

قال ذلك وانصرف فى اتجاه البار فى اسينا واستدار نحوهما موجهاً الكلام لسول :

- ولكن لو ارادت ابنة عمك أن تقضى معى بعض الوقت فى المستقبل يا عزيزى ، فلن أكون لطيفاً كما كنت الأن »

- سول ، هذا تصرف لا يغتفر »

قالت ذلك بغضب ولكنه سحبها من ذراعها الى سيارته ودفعها داخلها . حملقت فيه بغيظ ، كان معفراً بالتراب بعد المباراه .

- كيف تصرفت هكذا ؟»

- اتعنين اغضاب جابريل »

ادار محرك السياره وانطلقا خارج الملعب .. الى العالم الحقيقى واستطرد سول قائلاً :

- لقد جرحت كبريائه وحسب ، اطمئنى سيظل على قيد الحياه »

- ان هذا السلوك الهجمى هو أحد صفات شخصيتك لكنى لم ألاحظه فى الماضى ، كان على أن أعرف وأن أتوقع ذلك بعد الطريقه التى عاملتنى بها أثناء حفلك لأننى جرؤت على الحديث مع أحد ضيوفك »

انحرف سول عن الطريق فجأة إلى طريق فرعى ثم أوقف السياره وسط مكان تحيطه الأشجار الكثيفه وقال وهو يمسح جبهته بيديه

- فرانشيسكا ، هذا ضرب من الجنون ، لماذا تناقشين أمر جابريل بكل هذا الاهتمام ؟»

- لا تسألنى ، قد يكون من الأفضل مناقشة أمر شارمين بارول أو مناقشة خدعتك الحقيره حول الأرض التى كنت أريدها »

- الأرض ... اللعنه .. لدى ما أقوله بشأنها ؟»

- أنا واثقه من ذلك ، فلنسمع أو فلأخمن أنا ... إنه عالم حر .. سوق حر ، لقد كان الباب مفتوحاً وكان لك الحق فى أن تتقدم مثلما فعلت أنا »

كانت مفعمه بالتوتر بسبب المشهد السخيف الذى حدث فى الملعب وبسبب تدخله السافر ولكن سول اخذ يعبث فى درج السياره حتى أخرج علبه سجائر وأشعل واحده وأخذ ينفث دخانها فى عصبيه فقالت له :

- لم أكن أعرف أنك تدخن »

- لقد أقلعت عن التدخين »

- واضح !»

- بخصوص الأرض » قد لا تصدقين ذلك ولكنى قدمت عرض كتأمين»

فتح باب السياره وخرج وهو يتابع حديثه

- نادى » دار تفيو كونترى » كان يريد شراء الأرض وقد علمت من أحد الأصدقاء أنهم يقدمون مبلغاً كبيراً ، وانهم يخططون لمد المرافق ، كنت ستفقدين الأرض على أيا حال »

وسألته بحراره وهى تخرج وتقف أمام السياره

- ولماذا لم تخبرنى ، كان يمكننى عرض المزيد »

- هل كنت تستطيعين بالفعل ؟»

نظر اليها بسخريه واضاف :

- لقد حاولت أن أتحدث معك مراراً منذ عدت إلى ديفون وفى كل مره كنت توصدين الباب فى وجهى ، لم أقل شيئاً عن الأرض لاننى لم اعتقد ولو للحظه واحده انك ستستمعين إلى ، لم تكونى على استعداد لأنى تتقبلى منى أيه مساعده أو أيه نصيحه »

- وهكذا اشتريت الأرض لنفسك ؟ يالمساعده »

قال سول شارحاً فى نفاذ صبر :

- لقد اشتريت الارض لامنع النادى الآخرين لتوسع من امتلاك الارض الواقعه بين هيل ميد ولى بارتون كان فى نيتى أن أدعك تستخدميها كما تشائين أو ...

- أنا لست موضع احسان »

- او تستأجريها منى ، إذا فضلت ذلك»

وتبع حديثه بسرعه فى غضب :

- كنت احاول مساعدة انسانه تحاول دائماً أن تثبت أن أحداً لا يمكنه مساعدتها ، ولكن بصراحه ليست الأرض هى ما يولمنى فانا لا اعيرها اهتماماً ما يقلقنى هو خروجك الى الحانات مع الرجال »

- آه . هل أخبرتك شارمين انها قابلتنى »

- ثم تثيرين رغبه رجل مجرب مثل جابريل وتدعيه يحتضنك ويقبلك أمامى ثم تهتمين بالشجار حول هذه الارض الملعونه فى الوقت الذى يحتاج فيه موضوع ابنتنا الى حل »

حملقت فيه فى صمت ودق قلبها بعنف وهمست فى غضب :

- سول .. هذا ليس عدلاً .. كيف يمكنك أن تلمح الى أن مستقبل لورينا لا يهمنى ؟»

- بسبب سلوكك ، أذا كان مستقبل هذه الطفله يهمك حقاً ، لماذا لم تعطنى الفرصه لأن أوفر بدايه طبيعيه لحياتها ؟»

- لقد بدأت حياتها بدايه طبيعيه ، لقد نالت كل الحب وكل الأمان الذى يحتاجها كل طفل »

- إلا أن يكون لها أب »

- ماذا كان على أن أفعل أهرع وراءك ، اتتبعك وأنت تتنقل فى أنحاء العالم على أمل أن تتكرم توافق على ان تكون رب أسره ؟ هل تريد منى كل ذلك وقد اتهمتنى بالقاء نفسى فى احضان نصف رجال بيلدريدج قبل أن ينتهى بى المطاف فى مخدعك ؟!

كادت الدموع تخرج من عينيها ولكن منعها كبرياؤها وغضبها .

- كان عليك ان تخبرينى ، وأنا غير مقتنع بأن كره والدك لى هو الذى منعك من اخبارى »

- لا إنك مخطىء ، لم أقل لك لأنك لم تحبنى ، ولا يمكن لعلاقه ان تستمر بدون حب »

- فرانشيسكا !»

- ليس هذا حب - لقد كنت تحتقرني »

عادتها الذكريات مسرعه فقالت فى أسى :

- كنت فى قمه سعادتى حين رأيتك فى حفل عيد ميلادى الثامن عشر ، كنت افتقدك كثيرا ، سأعترف لك ، سأخبرك بحقيقه مشاعرى وقتها ، لانك مهما فعلت الآن لن تستطيع ان تؤذنى كما آذيتنى وقتها »

حاول مقاطعتها ولكنها تجاهلته ، وخرجت الكلمات من فمها بلا رابط

- كنت احبك دائماً ، ولكن عندما رأيتك فى تلك الليله كان الأمر مختلفاً ، شعرت بنوع آخر من الحب ، لم أكن أحبك كاخ أو ابن عم ، وعندما عاشرتنى اليوم التالى ، كان هذا هو الإحساس الصحيح فلم يشعرنى اى رجل بما شعرت به فى ذلك اليوم »

كانت كلماتها تخرج كالطائر السجين الذى وجد مخرجاً ، بينما تجمد سول وكانت عيناه تحملقان فى عينيها بتركيز وعندما تكلم أخيراً كان صوته مختلفاً :

- تشيس ، هل يمكننى أن أسأل أذا كانت هذه المشاعر قد اختنقت كليه؟»

- تعنى هل مازلت أحبك ؟ ، فلتعطنى سببا واحداً لذلك انا لست محبه للتعذيب !، ولكن بعد كل هذه الأشياء التى قلتها لى ، وحتى لو لم تكن قد ابتعدت طوال هذه السنوات ، فإن هناك حدود لكم الألم الذى يمكن للإنسان أن يتحمله حتى ولو كان الحب غير قابل للتخريب »

- هل الحب غير قابل للتخريب ؟»

اقترب منها وامسك بذراعها وهو يتابع كلامه :

- قد يعتمد هذا على نوع الحب الذى نتحدث عنه ، أنحن نناقش الرغبه ام هذا النوع من الحب الذى تحدثت عنه فى تلك الليله عندما طلبت منك الزواج ؟»

- ماذا تقصد ؟»

- تشيس .. اتحدث عن القواعد الأساسيه للزواج السعيد الذى عودتها .. الفهم المشترك والتعاون والمشاركه ، هل تعتقدين اننى لا اريد كل هذه الأشياء انا الآخر ؟»

- أنت غير قادر على تقديم هذه الأشياء »

- هل أنت واثقه اننى لم أكن قادراً من اربع سنوات ، الم تكن لديك أيه نكره عن مدى رغبتى فى أن أكون معك وقتما ؟»

قال ذلك وهو يهزها برفق وقد حملقت فى ذهول وهى تقول :

- أنت غير مفهوم بالمهرة »

- فرانشيسكا .. عندما أخبرتك أن هناك ما اود الحديث بشأنه كان لدى شعور بأن الأمر سيصل بنا الى معركة ولكن ..»

قطع رنين هاتف سيارته حديثه الرقيق ، وفى غضب بالغ توجه ليجيب وعندما شعرت فرانشيسكا بالتعب فجأة فاتكئت على مقدمة السياره الدافئه وسرحت فى الأفق الأخضر البعيد ،لقد ابعثت فيها كلمات سول دفعه من المشاعر ودت لو استطاعت أن تفى عقلها وتفكر ولكن التوتر والشمبانيا والغضب الذى سببه سحبها من ملعب البولو كطفله مشاغبه ، كل ذلك أشغل رأسها . وفجاه أفاقها شىء ما فى صوت سول ، أنتبه كل عصب فى جسدها وهى تسمعه يقول :

- اهدئى .. فى اى مستشفى ؟

كان يقول ذلك فى الحاح .

- أه ديفون داكسيتر ... هل هى بخير »

اسرعت فرانشيسكا نحوه وسألته :

- سول .. ما الأمر .. من هذا »

- إنها إيلين ، لقد تعرفت لوينا لحادث »

وتتابعث الكلمات من فمها بلا دعى وقد تملكها الرعب:

- هل هى بخير - ماذا أصابهم - سول هل هى بخير؟»

اخطتتفت السماعه من يده ولم يكمل حديثه وأخذت تستجوب إيلين

وحاولت أن تتمالك نفسها باقصى قدر ممكن ولكنها لم تستطع ، غلبها البكاء فلم تستطع أن تكون جمله واحده . ناولته السماعه ووقفت تنظر اليه فى أسى وهو تقول :

- لقد حالوت ركوب مينجيس مره أخرى على أعتيقد ويبدو انها القى بها فوقعت على شىء صلب . إنها حيه ولكنى لم استطع معرفه مدى الاصابات التى لحقتها .

- سول .. يجب أن أعود بسرعه !»

كانت الهستيريا التى تتحدث بها إيلين مفزعه ، كان سول ينظر فى ساعته ، كانت العلامه الوحيده الداله على مشاعره هى تلك العضله التى كانت تتحرك بلا اراده على وجنته .

- ستعود الى النادى لتصحب جيم بروبرتس سيكورسكى معناً .

- « ماذا »

- المسافه تستغرق اربع ساعات بالسياره ولكن الطائرة الهليكوبتر ستقطعها فى ساعه واحده »

وفى لحظات كانا يسيرعان عائدين الى النادى وبالهاتف أعد سول كل شىء التاكسى الذى سينتظرهما عند محطة الوصول ، لم يستغرق الأمر اكثر من عشرين دقيقه لتجد فرانشيسكا نفسها فى الهواء على متعه واحده من اغلى الطائرات الهليكوبتر فى العالم وقد وضعت سماعات على رأسها ، كان سول بجانبها ، كان كل شىء بالنسبه لها وكأنه من عالم أخر مثل المشاهد الخياليه فى المسلسلات التليفزيونيه .

شعرت أنها مذنبه ها هى تجلس فى كامل هيئتها وكانت تستمتع بيوم جميل وتتناول الشمبانيا والسمك المدخن والكافيار ، بينما طفلتها الصغيره تهرب من الرقابه وتتعرض لحادث أليم ، سلسه من الندم ومائه « لو » والتوتر ، كان كل هذا يحتمل بداخلها .

اغلقت عيناها وثبتت فى مخيلها صورة لوينا الصغيره المصابه وهى متوتره وخائفه وربما محوطه بالغرباء ، تحتاجها لتكون بجانبها وبدا أن

نظرتها تجاه كل شىء قد تغيرت الى النقيض ... عداها لسول حنقها الشديد من تدخله الساخر بدت كلتها وقد تحولت الى امور تافهه . كان الشىء الوحيد ذو الأهميه الحقيقه هى أن نجد لوينا أمنه سليمه عندما تصل الى ديفون .

عندما مد سول يده فى اتجاه فرانشيسكا وأخذ أصابعها الباردتين بيديه .. استسلمت فرانشيسكا .. لم تسحب يدها .

الفصل التاسع

طلب مرفوض

– انها مصابه بصدمه .. ولكنها بخير الان ستظل معنا هذه الليله تحت الملاحظه حتى تزول مرحلة الخطر !

كانت ابتسامه الممرضه مشجعه ، وكانت فرانشيسكا تجلس على حافه سرير المستشفى العالى تنظر بعينين لامعتين نحو الوجه الصغير المتألق .. كان الاطمئنان الذى اعقب مرحله القلق مكثفاً حتى انها شعرت بان رأسها يطير من السعاده .

وكانت العلامات الوحيده الداله على محنه لوينا هى شحوب لونها وكميه كبيره من الاربطه الطبيه .

قالت فرانشيسكا بهدوء وهى تمسك بيد طفلتها الصغيره بين يديها وقد غمرتها السعاده لان وحيدتها لم تصب باذى شديد :

– لوينا .. حبيبتى .. هلا وعدتى امك بالا تفعلى ذلك مره ثانيه ؟!

– لن افعل ذلك .. ولكنى اردت ان اجعل فينجنس يجرى بسرعه مثلما تستطيعين انت وسول ذلك .. ثم انه بدا وحيداً .

– وكذلك كوبر سيشعر بوحده اشد وهو ينتظر عودتك من المستشفى!

التقط سول اطراف الحديث وقال فى هدوء :

– شىء جميل ان يستطيع الاطفال ذوى الثلاثه اعوام النهوض من المرض بسرعه .

اجابت الممرضه بابتسامه :

– فى البدايه ظننا ان هناك كسور فى العظام لكن الطبيب اكد انه

مجرد خدوش وجروح صطحيه .

– هل بامكانى البقاء معها ؟!

– بكل تاكيد رغم انه لا داع لذلك .. انها ليست هنا لاجراء جراحه او ما شابه ذلك .

اصرت فرانشيسكا فى هدوء :

– ولكننى سأشعر بارتياح اكثر اذا ما بقيت الى جوارها .. أهذا يسبب ايه مشاكل ؟!

– لا مشاكل على الاطلاق يا سيده او بين .

– أنسه او بين !

ونظرت الممرضه بسرعه نحو فرانشيسكا ثم الى سول وهى تبتسم :

– حسنا ولكن الوقت قد تأخر واعتقد ان لوينا ستكون فى أمان معنا .

– لوينا .. سأقول لك ما الذى سنفعله ؟!

قال سول ذلك وهو يستدير حول السرير واضعاً ذراعه فوق كتفى فرانشيسكا متجاهلا الرجفه التى سرت فى جسدها ثم اجاب :

– سآخذ مامى الى المنزل معى لاستبدال ملابسى ثم سأصحبها لنتناول وجبه ثم سأعيدها اليك فى الصباح .. اتوافقين ؟!

اومأت الطفله بحماس ثم قالت :

– حسنا يا امى .. لقد اصبحت فتاه كبيره سأشاهد التليفزيون وسأتناول اللبن مع الفطائر ولا امانع فى البقاء هنا وحدى فالطعام هنا جيد جداً .. لقد تناولت الاسباجتي اليوم وكذلك تناولت ايس كريم وكريمه الشيكولاته .

– هذه الاشياء تبدو رائعه ، ولكن ماما قد تحب تناول بعض الاشياء الاخرى!

بدا ان القرار قد اتخذ ، احست بالالم يعتصرها لان ابنتها الصغيره بدت مستقله ، بكل هدوء احتضنتها وقبلتها على وعد بان تراها فى الصباح .

رمقها سول بنظره من فوق رأس لوينا عندما اتجه لتوديعها .. كانت النظره وكأنها طلقه مخدر .. كانت نظره رائعه وممتلئه بالمشاعر .

شعرت فرانشيسكا فجأة أنها مضطربه ، شعرت ان درع الغضب الذى كانت تستخدمه للحمايه قد تهشم تماماً .

سألها سول عندما وصل بهما التاكسى الى هيل ميد :

– حسنا تشيسى .. الى اين تحبين ان نذهب ؟

– سول .. انا منهكه والحقيقه اننى لست جائعه بدرجه كبيره .. هل انت جائع ؟!

– انا عصبى !

نظر اليها وقد ضاقت عيناه وهو يضيف :

– يجب ان نتحدث !

حملقت فيه وقد رأت ان يتحدثان على الاقل ليتفقا على الصراحه المؤله فى المستقبل .. اجابت فى عصبيه وهى تتجنب نظراته :

– نعم ، اعتقد ذلك !

– قولى ما تريدين قوله لإيلين ثم ستعودين الى لى بارتون لتتناولى شرابا ريثما اغتسل وابدل ملابسى ، لو استخدمنا سيارتك سأحاول ان اكون قاطعاً بشأن المكان الذى سنذهب اليه ، رغم ان رؤيه لوينا فى المستشفى افقدتنى شهيتى تجاه كل شىء .

اومأت بنظره سريعه اليه وقالت :

– هذا شعورى انا ايضا .. كانت الافكار التى تتدافع داخل رأسى طوال الطريق من بيركشاير اشبه بكوابيس مزعجه .

ولكنه ذكرها فى رقه مفاجئه احدثت صدى فى اعماقها حين قال :

– ولكنها بخير .. انها فتاه ذات روح رائعه .. انها مستقله ولا تشعر بالخوف وصريحه للغايه ، وبغض النظر عن اختيارك غير الموفق للمربيات فأعتقد اننى لا استطيع ان اجد اخطاء فى تربيتها .

– سأعتبر ذلك إطراء .. اذا لم يكن كذلك !

نظرت الى سول قبل ان تستدير وتدخل الى المنزل مستعده لمواجهه حتميه مع ايلين . التى كانت تتناول الشاى فى المطبخ مع السيده برنس وجينا وكانت لا تزال باكيه ونادمه .

كان سول واقفا بجوار السياره اللاندروفر بينما كانت الشمس تميل نحو الزوال عندما جاءت فرانشيسكا بعد دقائق معدوده ترتعش فى عصبيه وتقول فى استياء :

– لقد قدمت استقالتها وحسب .. لكننى اشعر بخيبه امل لاننى تركتها تذهب هكذا وهى تعتقد انها هزمتنى .

طوقها سول بنظره من عينيه على وجهها المرتعش من العصبيه ، وأخذ مفاتيح السياره من يدها .

جلست الى جواره بينما قاد هو السياره فى اتجاه لى بارتون .. لم ينبثا بكلمه واحده طوال المسافه القصيره وعندما وصلا ساعدها سول على النزول من السياره وقال لها :

– كنت على صواب حين تركيتها ترحل فاحد المتطلبات الرئيسيه فى المربيه الجيده هى ان تعرف محط اهتمام طفلتها وما الذى تنوى الاقدام عليه .. بصراحه هى لم تكن على درجه من الكفاءه فى عملها .

اخذها سول الى حجره الاستقبال واجلسها على اريكه دافئه بفعل اشعه الشمس التى تسقط عليها من خلال النافذه .. اشعل سول المدفأه واحضر كأسين من البراندى وتجرع كأسه بسرعه ثم صعد الى اعلى ليغتسل ويستبدل ملابسه .

كان الاجهاد الذى حل عليها فجأه قد منعها من مناقشه سول فى اتهامه لإيلين .. ولكنه كان على حق .. فما كان لها ان تثق فيها ثانيه بعد ما حدث .. ولكن الان يجب عليها ان تنشر اعلانا مره اخرى وهذا سيستغرق وقتاً ثم انه سيزعج لوينا .

ادارت فرانشيسكا نظرها فى الغرفه .. كانت الوان الارائك تنسجم مع الوان الستائر .. كانت الارضيه اللامعه تعكس نار المدفأه .. باختصار

كانت الغرفه جيده التاثيث .. كانت اللوحات الزتيه او المطبوعه تنتشر فى كل مكان وكلها عن المناظر الطبيعيه فى ديفون وكانت تعكس ذوقاً مرهفاً وكذلك ثراءاً بالغاً .. فكرت فى هذا وهى تستدعى دور شارمين بارولى فى ترتيب البيت وقد اعتدتها سحابه من الغيره .

اغلقت فرانشيسكا عينها وتناولت جرعه اخرى من البراندى وحاولت الا تفكر فى اى شىء .. وعندما ظهر سول بعد نقائق بشعره المبلل ورائحه العطر الفاتحه منه ونقنه الحليق .. كانت فرانشيسكا تبدو شبه نائمه وهى تردد :

– بامانه .. انا لا اعتقد اننى قادره على الذهاب الى اى مكان !

كان سول قد اقترب وجلس الى جوارها فأحدث اقترابه رعشه خوف فى اوصالها .. كان له تأثير جذرى على جهازها العصبى حتى انها شعرت ان اطرافها تتكمش .. كانت فكره ان يكون مع شارمين بارول مؤلمه مثل الطعنه القويه .. قال سول بحزم :

– اخبرتنى السيده فين ان هناك بعض الاشياء فى الثلاجه .. سنتناول طعامنا هنا !

– سول انا ممتنه لمساعدتك لى اليوم .

اخذت تبحث عن كأسها وتناولت المشروب واحست به وكأنه يخترق جسدها وقد اعاد لها بعض الحيويه المفقوده فاستطردت :

– لولاك .. لكنت حتى الان اقود السياره فى طريقى للعوده ولكن فى الحقيقه انت لست مطالب بتوفير الطعام والتسليه .

اخذت نفساً عميقاً ثم تابعت كلامها :

– لقد كنت افكر وانا اجلس هنا الان .. لقد بدا الخوف الذى انتابنى اليوم وكأنه اصاب عقلى بقوه التركيز بشكل كبير ، سول .. لك أن ترى لورينا كما تشاء لكن لا ينبغى على هذا التظاهر بانك تريد الزواج بى ، فمن المؤكد انك تدرك ان هذا الامر لن ينجح ، بعض النظر عن اى شىء اخر .. لقد كنت تعيش مع شارمين بارول ولها الحق في ان تصير زوجتك .. انه

امراً مفروغاً منه .. انه امر يدعو للأسى ان تشعر وكانك مدفوع لان تفعل شيئاً نبيلاً .

– اذن .. انت تقترحين ان نعيش حياه منفصله ، وان تكون لورينا هى القاسم المشترك الوحيد بيننا ؟!

كانت هناك لمحه تهكم فى صوته وقد تغير تعبير وجه فقالت فى عصبيه:

– نعم .. اذا اردت ذلك ، ولكننى ارى انك غاضب جداً بشأن لورينا وتنظر للامر من وجهه نظرك .. اعتقد ان لك حقاً فى ذلك ولكن يجب ان تدرك ان الامر لن ينجح ابداً .

قام سول فجأة .. تحرك وابتعد ولم يبد على وجهه ثمه تعبير واكمل قائلا:

– لقد قلت كل ما تريدين الان .. فقط ابقى فى مكانك .. سأعود اليك فى الحال

غادر سول الحجره وعاد اليها بعد ثوان قليله وفى عينيه نظره اصرار وقال لها :

– سأعد لنا بعض اللحم .. كيف تفضلينه ؟!

– نصف مطهو .. سول ولكننى لست ...

– لقد اكتشفت وجود سلاطه خضراء في الثلاجة وهناك ايضا حلوى طازجة لما بعد الطعام .. هل تريدين اخر ؟!

– انا ...

نظرت الى كأسها نصف المملوء فتناول سول الكأس من بين اصابعها واضاف قدراً من البراندى وهو يقول :

– انه ليس فاتحاً للشهيه ولكنه سيساعدك على الاسترخاء !

قال ذلك فى هدوء ثم اختفى داخل المطبخ وفى خلال عشرين دقيقه كان يجلس امام فرانشيسكا على مائده مستطيله امام المدفأه وقد وضع امامها اللحم المحمر والسلاطه والخبز والنبيذ .

تركت فرانشيسكا ادوات الطعام من يدها ونظرت الى سول وهو يلتهم طعامه وقد علت وجهها نصف ابتسامه وقالت :

– حسناً .. سأعترف الطعام مذاقه رائع !

– ان شيء اللحم هو اقصى ما اجيده فى فن الطهى.

– انت طباخ ماهر ، اذا كنت تحاول التأثير على فقد نجحت .. نجحت فى اصطيادى فى لحظه ضعف الليله ، فافتقادى للونيا قد اثار اعصابى.

ارتشفت بعضاً من النبيذ ونظرت اليه فى ريب وهى تتابع قائله :

– ولكننى اعى تماما ان تناول الطعام مع الشيطان قد يكون فيه حكمه ما .. لقد نبهتك الى اننى لن ابيع هيل ميد او بالنسبه لهذه الارض التى قمت بشرائها .. فأنا لست ....

ترك ادوات الطعام هو الاخر .. كانت عيناه قاسيتان ولامعتان وهو ينظر اليها عبر المائده وهو يقول :

– تشيسى .. هل يمكننا ان ننسى هيل ميد والارض ؟! .. ان اهم شيء عندى الان هو انت وابنتنا .

بسرعه نظرت بعيداً متجنبه النظره المتحديه واخذت تركز فى محتويات كأس النبيذ بين يديها .. كانت هناك فقاقيع هواء تتحرك بداخله بينما سول يكمل قائلا :

– فرانشيسكا .. لكن لك كل الحق فى ان تختبرى دوافعى للزواج منك!

– حسناً .. على الاقل ها نحن نتفق على شيء .

– تشيسى . كنت اجعلك تفهمين منذ اربعه سنوات وكنا نكافح حتى نجعل لحياتنا معنى ، بطرق مختلفه كان لكل منا مشكلاته فى البحث عن الواقع وسط الخيال .

اشتعلت عيناها من تأثير كلماته فقالت :

– لا .. ليس ثانيه ، سول لقد مللت من اتهامك لى بالحياه فى عالم خيالى ، ما شعرت به نحوك كان حقيقياً ولا يهمنى إن تعتقد انه نوع من الحمي الخياليه التى نبعت خلال بحثى فى حياه الغجر .

صمتت للحظات ثم استطردت تسأله :

– ماذا تظنه كان شعورى عندما كنت ... عندما مارسنا الرغبه حتى تسخر منى لاننى فكرت فى بعض الخيال الجنسى الريفى عن العشاق من الغجر الذين يقطعون آذ ان زوجاتهم لخيانتهن او .. او يقوموا بتعريهن وبجلدهم على الملأ ؟!

– لم يكن هذا ما اشير اليه بكلامى !

– حسناً .. انها اسوء ذكرياتى واكثرها ألما .. لقد افسدت شيئا جميلاً ، لقد اردت ايذائى عن عمد .

اخذ سول نفساً عميقاً ونظر اليها بتحفز وهو يقول :

– لا .. لم اقصد ابداً ايذائك ، لقد كنت غاضباً من نفسى ، تشيسى ، انا احبك ، لقد أحببتك وقتها واحبك الان ، لم يفارقنى حبك مطلقاً .

حملقت فيه فرانشيسكا فى عجز وفجأة احست به بكل كيانها .. شعرت ان دنياها قد انقلبت رأساً على عقب ، لم تصدق انها تجلس هنا مع سول فى لى بارتون .. تستمع الى ما يقوله لها .. كلماته كانت بسيطه ورقيقه .. تلك الكلمات التى تمنت يوما لو عبرت ورائه كل القارات حتى تسمعها منه .

– فرانشيسكا !

دفع سول مقعده الى الخلف وبسرعه اخذ يمسح على جبهته بقوه فى حركه عصبيه وهو يقول :

– لقد اعددت خطبه كامله لالقيها عليك ولكن ما ان رأيتك تجلسين هناك حتى طار عقلى .. لا اريدك ان تقولى الا انك ستتزوجينى .. ستخرجين من هذا العذاب !

كانت الرساله رقيقه وناعمه وقد فشلت فى اخفاء توتره وقلقه لقد ملأت رسالته الغرفه كلها ووصلت اليها كاعصار مدمر اجتاحها حتى شعرت بنفسها وكأنها تبكى ، لكنها لاحظت رغم ذلك انها كانت تهز رأسها ببطء .

كان هناك احساساً بارداً يتسلل اليها ، احساس لعين قاسى .. كانت

مدركه ان سول كان يفتح لها باباً لا رحمه فيه .

بالتاكيد سيظن انها سانجه اذا كان يتصور انها ستصدق هذا ، ان تنخدع وتقبل كل هذه الاهانات التى وجهت لمشاعرها بعد كل ما حدث بينهما .

– سول .. انا آسفه ، انا لا ادرى ماذا اقول .. تقول انك تحبنى وتريد ان تتزوجنى ولكن لا معنى لا لهذا ولا لذاك .

احمرت وجنتيها وهى تستطرد قائله :

– اذا كنت قد احببتنى فلماذا عاملتنى بهذه الطريقه ؟.. لقد تعاشرنا وبعدها صرخت فى وجهى ووجهت لى السباب والاهانات ولم اراك بعدها طيله اربعه سنوات ، يجب ان تعترف ان هذه الطريقه غريبه للتعبير عن حبك .

– اود ان .... اشرح ..

– انا واثقه انك تستطيع ذلك !

تملكه الغضب .. كانت ناقمه من تصوره لدرجه ذكائها وقالت :

– رغم ذلك فانت ستفهم الامر ، فإذا كنت اشعر بالشك ، اعنى اذا كان هناك سبب منطقى وواضح عن سبب هبوطك فجأة على بيلدريدج بعد كل هذه الفتره ، عن سبب محاولتك شراء هيل ميد من وراء ظهرى ، عن سبب خداعك لى بان اضع ثقتى فيك ثم تشترى الارض التى احتاجها ، عن سبب وجود فتاه جذابه تعيش معك وتلقى على عاتقها مهمه تجهيز بيتك ، بصراحه الامر كله يبدو قذراً .

كان جسدها كله يرتعش بينما انهت كلامها فى برود فقال لها سول :

– نهايه غير موفقه لكلامك ! .. ولكنك على صواب فى بعض النواحى .. فعلاً الامر كله يبدو قذراً .

– الصراحه .. أخيراً !

كان شىء ما فى قلبها يتحطم .. احساس ظنت انه يحدث للمره الاولى .. لا .. بل لمره واحده فقط .

الفصل العاشر

الغيره والغرور

– فرانشيسكا ، هل انت على استعداد لان تسمعينى وحسب ؟!

– ولم لا .. هذا اذا كان الامر جاداً محتملاً !

نظر اليها وقد ظهر الاكتئاب فى عينيه وقال :

– انا لا اعترف من اين ابدأ ؟!

– لماذا لا تبدأ بنبره مختصره عن السنوات الاربعه الاخيره وتقول لى انك كنت تتلهف على طوال هذه السنين وانك لم تشعر بالمتعه ولو للحظه واحده وانت تمارس لعبتك الشهيره .

كان سول يبذل جهداً خارقاً ليتحكم فى اعصابه وهو يقول :

– لا هذه السنوات الاربع الاخيره كانت سنوات تسكين وتنفيس ، لقد اعطانى نجاحى فى لعبه البولو احساس بكيانى ، ومن ناحيه اخرى كان يهبنى الاحترام من جانب كل اعدائى فى « ايتون » الذين كانوا يسخرون من بيئتى الاجتماعيه ، وكان البولو هو لعبتهم المفضله وكان حصولى على وضع المحترف البارز نوعاً من الدفاع عن النفس .

نظرت اليه فرانشيسكا وهى تحاول اخفاء العطف بداخلها وقالت :

– ألم تكن سعيداً فى المدرسه ؟!

– كنت فى قمه اليأس

– لماذا الم تقل شيئاً ؟ لا اعتقد ان العم هارى والعمه كارول كانا

سيبقانك هناك ..

– كنت فى قمه غرورى ، فرانشيسكا اذا اردت كشفا كاملا عن مزالقى فستجدين الغرور والغيره على رأسك .

– اذن ـ اذا كان البولو قد صار علاجاً ما الذى جعلك فجاه تغير المسار وتعود الى هنا بهذه الطريقه ؟

– « الامر بسيط علمت ان أباك مريضاً ، علمت انك غير متزوجه ولا زالت تعيشين فى هيل ميد وعلمت ان حى بارتون معروضه للبيع »

– الم تحلم بأمر لورنا ؟..

القت عليه السؤال فى حذر دون ان تنظر الى عينيه ، كانتا مؤثرتين للغايه فى هذه اللحظه .

– لا ـ لم اعلم اى شىء عن لورنا متى دخلت حجره المكتب باكيه فى عصر ذلك اليوم ، كنت على وشك محاوله شرح مشاعرها لك عندما ظهرت ، هل تعرفين ما الذى ظننته وقتها ، عندما رأيتها لاول مره ؟

كانت هناك جمله تتحرك دون ارادة فى فك سول ، كانت هذه هى العلامه الوحيده على توتره ، ورغم ذلك شعرت فرانشيسكا انها ثابته وهى تسأله:

– ماذا ظننت ؟

– خرج منها السؤال همساً ثم التقطت كأسها وارتشفت بعض النبيذ

– للحظه ما ظننت انها لى ومنى وبعد ذلك ادركت اننى قد تلبسنى مزلق اخر من مزالقى ، اصابنى الغرور والسلف مرة اخرى ، ان مباشرتى لك مره واحده منذ اربع سنوات مضت لم تكن مبرراً لى بأن افترض ان تكون لورنا طفلتى ، يحتمل ان تكون هذه هفوه نفسيه لاننى رغبت بشده ان تكون ابنتى بالفعل ، تماماً بنفس الدرجه التى رغبت فيها ان تكونى انت لى ..

وغرقت تجاهه .. غرقت بفعل اللحمه المغناطيسيه فى عينيه . كان

الامر جنونا هذا ما توصل اليه الجزء الهادىء الراشد فى عقلها .

جنون ان تدع سول يتلاعب بمشاعرها ليحصل على ما يريده ان تدعه يغمرها بجاذبيته لدرجة انها تجاهلت الحقيقه الواضحة الجليه التى تعلمتها من الماضى .

كان قلبها ينبض بقوه ، وكان حلقها جافاً وكأنها خارجه لتوها من مسابقة للعدو وهى تقول باصرار :

– ماذا عن شارمين لقد جاءت لتقابلنى عندما كنت اتناول شرابا مع هوارد

قاطعها سول برقه وقد لمعت عينيه بالعدوان :

– هوارد صديق ، اراه مره كل سته اسابيع ، نتبادل الحديث ونأخذ وجبه سريعه اما شارمين بارول فقد كانت تنام معك فى منزلك ، اليس كذلك ، لقد اخبرتنى هى انك ستتزوجها .

اجاب سول فى حده وغضب :

– شارمين تمتلك شركه تصميمات داخليه ، لقد كانت تعمل لدى ، لقد استخدمتها .

– حقاً ؟ اذن لماذا كانت تتملكها هذه الفكره الغريبه من انك ستتزوجها:

والد شارمين ثرى للغايه ، وقد اعتادت ان تسلك طريقها فى الحياه بمفردها ، لقد عرفتها عن طريق والدها لبعض الوقت ، وعندما سألت اذا كان بأمكانها الاشراف على اعداد لى بارتون اعتقدت انها قد تكون ذات فائده ، واعترف اننى كنت منهمك فى أمور اخرى كثيره لم استطع بسببها ادراك ان لديها خطط عن مستقبل وردى يجمعنا .

– ولكنكما كنتما تناما سوياً ؟

لم نكن ننام سويا واذا كنت تتعجبين ، فاذا الالوان والاثاثات الموجوده هنا هى اختياري انا ، كانت شارمين تقوم بالشراء والترتيب والبحث ، ولاكون صادقاً لقد اردت ان تكون هذا المكان قاعده جاهزه ، شىء يوضح

لك اننى سابقى شيء دائم وامى اقدم لك .

ساد صمت عميق لفتره واخيراً وقفت فرانشيسكا بسرعه لقد شعرت ان حنجرتها قد انست من تاثير مشاعرها وهى تقول :

– سول اريد ان اصدق ان كل هذا حقيقى اريد ان اعتقد ان ايمانى بهذا الخيال قد اخجلنى من نفسى ولكن الاتدرك الامر ؟ إنه مؤلم جداً هذا الذى حدث بيننا منذ عده اعوام ، كان بالنسبه لى لحظه سحريه رقيقه ثم قمت انت بتحطيمها ووطأتها بقدميك ثم القيتها فى وجهى ، انا لا افهم كيف اقدمت على ان تفعل هذا ثم تأتى اليوم وتقول انك تحبنى .

كان وجهها شاحباً وكانت ترتعش فوقف سول هو الاخر وقال :

– تشيس ، اسمعينى ، ارجو ان تسمعينى لقد شعرت طيله حياتى انى كنت احاول ارضاء اناس مختلفين باشياء مختلفه لكى ارضى زوج امى ذهبت الى ايتون ومارست لعبه البولو ولكى ارضى امى ذهبت الى اكسفورد ودرست اللغه اللاتينيه ، ولكى ارضى ابى الحقيقى عشت وتنقلت مع الغجر وتعلمت عادتهم وفلسفتهم وفى النهايه شعرت اننى مشوش .

صمت للحظات ثم ادرف :

وعندما التقينا ثانيه فى حفل ميلادك الثامن عشر ، كنت امر بازمه تحديد الهديه ، كما يقولون ، وتوهمت انك انت الاخرى .

حاولت ان تتكلم ولكن انحبس صوتها كان بنبض قلبها غير طبيعى هل الغجر ، ام المجال المغناطيسى الذى خلقه سول بحديثه المكثف .

لقد رأيتك هذه الليله فى حفل عيد ميلادك وكرهت نفس لاننى رغبت فيك ، شعرت كمن غرر به لقد بدت عليك السعاده عندما رايتنى ، وكان كل ما استطعت التفكير فيه هو مدى الرغبه التى تمتلكنى لمعاشرتك ووجدتك تثيرين رغبه كل هؤلاء الرجال ، وكنت فى قمه الغيره لدرجة اننى اردت قتلهم جميعا ، وقد وجد أباك سعاده كبيره فى اخبارى بانك قد خطبت لجوليان هاربنجتون جرين .

– ولكن هذا لم يحدث !

– لم يحدث ؟

خرجت الكلمات من فمه كالطلقه ثم اغلق عينيه لثوان واستطرد واخذ يديها بين يديه وقد تشابكت اياديهما :

– تشيس ، حبيبتى تشيس ، عندما جئت لرؤيتى صباح اليوم التالى للحفل ، وعندما تعاشرنا ، شعرت بنوع من الاثم الفظيع لكل هذه الاسباب التى ذكرتها الان ولاسباب اخرى لقد احسست اننى اثبت ان أباك على حق بشأنى وان الحق ظهر فى النهايه .

واطبق على يديها بقوه اكبر وطاقت عيناه وهو يضيف

لقد انهلت عليك بالسباب والاذى لانقذ نفسى من الاحساس بالضياع والذنب ، لم استطع تصديق اننى خنت الثقه .

– ثم يكن الامر هكذا لقد رغبت فى الامر انا الاخرى

قالتها بهمس وهدوء ثم استطردت :–

كان ذلك مثل حلم ، مثل شيء كنت اتحرق اليه شوقاً وفجاة صرت وكأنك شخص اخر ، كنت قاسياً للغايه .

لقد عذبنى الاحساس بالذنب وفى الوقت نفسه كانت الغيره تقتلنى من الا اكون الرجل الاول .. يا الهى ... كما لو كان هذا هذا يهم لقد قتلنى غرورى .

– كان يهم بالنسبه لى ، وقد كنت انت الاول

قالت ذلك واعترف حقيقى مهتز واندفعت الدماء الى وجهها قفالت سول برقه :

– لقد ادركت ذلك .

امسك يدها ثانيه كما لو فى حاجه الى هذا الاتصال .. وقال :

تشيس ، ان الامر يصعب شرحه لقدكنت اكابد نوعاً من الاضطرابات ، لقد كنت شيئا ثابتا فى حياتى ، كنت ابنه العم الصغيره التى طالما لعبت ولهوت معها ، ثم تغير هذا ايضا ، نجاه بث غير متاكد من نظرتك إلى . وكل قصصك الرومانسيه عن الغجر لقد كنت تعيشين فى عالم حالم ،

منفصله تماما عن الواقع .

لم تكن قادرة على الكلام ولكنها قالت اخيراً فى بطء شديد :

صحيح لقد كنت مبهوره بتجاريك وثقافتك وكنت احب الذهاب معك الى معارض الخيل ومقابله الفجر ، كان كل شيء يبدو رومانسياً ومشوقاً ومختلفا ولكنى احببتك انت يا سول ولم احب بعض الخيالات السخيفه .

آله استخدامها الدائم للزمن الماضى فى كلامها ، ترك يديها واتجه للجلوس بجوار المدفأه وهو يمسح بأصابعه على على شعره الداكن .

– تشيس ، اعرف اننى كنت مخطئا ولكن زواج امى بابى كان هو الحقيقه وسط رومانسيه الفجر الحمقاء ، لم افهم الحقيقه الا عندما عشت وسط الفجر وعندما استطعت رؤيه المأساه وفهمها ، رأيت كيف انخدعت امى بالرومانسيه واصبحت زوجه الفجرى .

كم عانت من النتائج لقد احبت والدى ولكن آل جالا تركانوا دائما يتزوجن من آل بوسويلز وعندما وقع جال جالاجر فى حب امى كان مقدرا لهذا الحب ان يفشل منذ البدايه ، لقد ترابطت العشائر فالفجر يميلون لاستخدام الزواج كنوع من تدعيم القوه السياسيه ، فكانوا يتزاوجون فيما بينهم وبخاصه ابناء العموم ، لقد هدرت امى قبيلتين مترابطين ، فلم تمنح ايه فرصه للنجاح .

– ولكن مثل هذه الضغوط لم تكن لتنطبق على وضعنا .

– اعرف ولكن كنت مذعوراً ان تتأثرى بكل هذه السلبيات .

اعترف سول بذلك وقد اخذ يديها بين يديه وقد اصاب قلبها بنظرته البراقه وقال :

– وعندما اعلن ابوك انه يفضل ان تموتى على إلا ترتبطى بشخص مثلى – هل قال ابى ذلك ؟

جذبت يديها بين يداه وهى تحملق فيه وتضيف .

متى ؟ من قال ابى ذلك ؟

عندما ذهبت لمقابلته قبل مغادرتى

– لم اعرف ذلك .. هل تقول انك بالفعل جئت لمقابله ابى ؟ واخبرته بما حدث ؟.

انسحبت الدماء من وجهها وهى تقول ذلك فقال سول :

لقد ذهبت لمقابلتك انت ، ففى ذلك اليوم ، لم استطع ان ارحل هكذا بعد كل الاهانات التى سببتها لك وبعد الحاله التى انهالت فيها دموعك ، كانت عندى فرصه لاهدىء الموقف ولكن والدك قال لى انك ذهبت الى اكسيتر مع جوليان هارينجتون لاختيار خاتم الخطوبه ، وقال انك ستحضرين حفله سواريه فى منزل آل هاينجتون فى المساء .

اخذت تحملق فيه بلا وعى وغطى الصمت المكان حتى بدا صوت دقات الساعه المعلقه يعلو ويعلو .. واخيراً قالت وهى ترتعش بالكامل :

هذا كله هراء ، ما كان ابى ليقول هذه الاشياء ، هذا ليس صحيحاً ، لقد اخبرته صباح ذلك اليوم قبل ان اذهب اليك فى الفندق ، انى افضل الموت على الزواج من جوليان ، بعد ان تركتك ذهبت فى جوله طويله على ظهر جوادى .

انهمرت الدموع من عينيها وهى تحاول ان تعى ما يقول سول ، ثم انفجرت فيه فى غضب .

سول .. انك تكذب !

واخذت تسبه وتهزه بيديها الى ان امسكها بقبضته الصارمه وسحبها نحوه بينما كانت تقول

ما كان ابى ليكذب هكذا ، سول ارجوك اتركنى

فرانشيسكا ، كفى عن عراكى

كانت تضربه بقدمها ولكنه جذبها واجلسها على الاريكه وضغط عليها وهو يقول :

كفى ايتها القطه الشرسه ، هل تعتقدين اننى اكذب عليك .

وقبل ان تجيب مال برأسه عليها وقبلها قبله طويله قويه وحين شعران التوتر زال عنها رفع رأسه عنها وكانت الرغبه تملأ عينيه كانت تبكى وكانت الدموع تغرق عينيها فى اتجاه اذنيها .

الفصل الحادي عشر

عوده الحب القديم

– لا تغضبى من ابيك .. كان قد رأنا فى الاسطبل فى الليله السابقه ، اتذكرنى ، عندما تبعتك الى هناك ووجدت تيفيل بيرسفورد كان قد سبقك الى هناك ، لقد كان إباك يرى اننى اشكل تهديداً ، والان اصبح التهديد واقعاً ، لم يعرف ما حدث فى غرفتى بالفندق الا اذا كنت قد أخبرتيه انت

شعرت ان صوتها يأتى من مكان بعيد وهى تجيب :

– لا .. انا لم اقل له شيئاً الى ان جاء وقت لم استطع فيه اخفاء حملى.

اصابها التشنج ووضعت يديها المرتعشين على وجهها المبلل بالدموع ، وعندما قام سول برفق وأخرج منديله الابيض وقدمه لها فأخذت تمسح دموعها ثم احتفظت بالمنديل بين يديها وقالت :

– كان على إن اخبره والا كان سيشتبه فى اى من اصدقائى العاديين

اخذت تسترجع ذكرياتها وقالت :

– ولكن عندما اعترفت له كنت انت من هو .. هوا

عضت على شفتيها بقوه وهى تتابع قائله : ٠

– لقد اوضحت له اننى لن اخبرك أبداً ولم يكن يريد ايه مناقشه .

قال سول وقد تمثل موقف ابيها :

– حفيد غير شرعى افضل عنده من زواج ابنته !

ساد صمت لفتره ثم اكمل سول كلامه قائلاً :

– تشيس .. لقد كان يحاول حمايتك بطريقته الخاصه ، لقد كنت بالنسبه له ثائراً غير مرغوب فيه ، تثير سيء ، ولكنه احبك كثيراً وكان يريد حمايتك من الضرر ، انا حزين لموته حقاً ، لانه لو كان على قيد الحياه لإجبرته على ان يرى ان بينى وبينك قاسماً مشتركاً ، ان يرى أنني ان احبك اكثر مما يمكنه ان يتصور ، وأنا لا اريد ان اقيدك او اسجنك ، اننى اريد شريكه على قدم المساواه معى ، اريد حبيبه لاجاريه مطيعه .

غمرتها موجه من الدوار ، كانت ترتجف ، كانت حراره وضعها على الاريكه تبعث الدفء فى جسدها

– سول ... انا لا استطيع تصديق ذلك !

– يبدو انك فقدت قدرتك على التركيز .

كان البريق المنبعث من عينيه رائعاً ، وتحركت يداه فى رقه لترفع شعرها عن وجهها ثم قبلها قبله رقيقه وقال :

– تشيس ، حبيبتى ، لو كان بامكانى ان ازيح عن قلبك كل هذا الالم لما ترددت لحظه ، ولكن اذا تزوجنا الان فاعدك انك لن تندمى أبداً .. تشيس .. هل تتزوجيننى ؟!

كان صوته رقيقاً وقد رفع رأسها اليه ، كان صادقاً ولكنه كان متوتراً وقد نقل توتره هذا اليها .. اظلمت عيناه بعنف وهو يقرأ الاجابه فى عينيها .

– نعم ،، سأتزوجك !

وكان صوتها رفيعاً ممتزجاً بالدموع ولكنه شعرت فجاة انه متهلله ، ابتسمت اليه وهو يتنفس الصعداء وكأنه سمع حكم بالعفو عنه من عقوبه الاعدام .

– سستتزوجينى ؟!

اومأت اليه بالايجاب فجذبها بقوه وضمها الى صدره ولم يقدر اى منهما على الكلام لفتره كانت تشعر بدقات قلبه وهى تعانقه دقات قلبها فإشعرها هذا الاحساس بانها لا تزال حيه وسعيده وكأن الدماء كان يغنى فى مرح داخل شرايينها .

جمعت قواها ووجدت نفسها قادره على الكلام فخرجت منها كلمات هامسه سابحه فى عمق عينيه ، غارقه فى بريقها المتألقه فقالت :

– بما انك الرجل الوحيد الذى تمنيته طوال حياتى فمن الجنون ان ارفض هذا الطلب .

– لا تنظرى الى هكذا .. سانسى كل نواياي النبيله ووقتها ان اكون مسئولا عما سيحدث .

– ما هى نواياك النبيله ؟!

– ان اتحكم فى رغبتى المتأججة ، فأنا اعتقد انه يجب علينا الانتظار حتى يتم زواجنا .. اليس كذلك ؟

–حسناً !

ارتفعت درجة الدفء بينهما الى درجه خرجت عن سيطرتهما فقالت فرانشيسكا :

– سول .. اتذكر عندما كنا نتناقش بعد ا باراه ، عندما قلت لك اننى كنت احبك ولكننى لم اعد احبك الان !

– اذكر !

– لقد كذبت عليك ، انا لم اقدر مطلقاً ان ابعد حبك عن قلبى حتى بعد ان حاولت ذلك لاربع سنوات .

– تشيس !

قبلها بعنف رافعاً درجه الحراره الى مداها ثم قال :

– تشيس ، انا اريدك بقوه .

– وأنا ايضا .. لم اعد احتمل .

– اريد ان يكون خاتمى فى اصبعك ، اريد ان يكون كل شيء سليماً

هذه المره .

ولكن .. كانت الرغبه اقوى من الكلمات لم يستطيعا الانتظار ، تحت عنف الرغبه وتأجج المشاعر صعدا الى غرفه النوم يدفعها الشوق والرغبه القويه . وهناك .. نهلا من نبع الحب واطفئا النيران المشتعله بداخلهما .

وضعت رأسها على صدره وهو يمسح بيده على جبهتها فى حنان وقال:

– اتعرفين .. لقد اردت قتل جابريل اندرادا اليوم ، لقد اشتعل غضبى ان اراك معه وهو يقبلك .

– لقد حضرت معه اليوم لاننى كنت غاضبه منك ، يا لجابريل المسكين .. يجب ان أكتب اليه خطاب اعتذار .

التفتت ذراع سول حولها ورفعت رأسها لترى وجهه وهى تقول :

– لقد استعملته لأتى وراءك وهى طريقه قاسيه للتعامل مع اى شخص.

– ليست اقسى من الطريقه التى عاملتنى بها طوال الاسبوعين الماضيين ، حتى قضيت ليله فى قسم شرطه اكستير ، ولكن اشكرك على معاملتك القاسيه لى .

– انا لم اشعر اننى اتخذت موقفاً من صديقتك شارمين اثناء المباراه ،، ولو لم اكن على درجه عاليه من التهذيب لكننى قد تبادلت معها السباب اثناء الراحه .

ضحك سول وقبلها قبله طويله ثم قالت :

– هل ستغضب والدتك عندما تعلم ان لوينا هى حفيدتها ؟!

– ستغمرها الفرحه ، فى الحقيقه لدى شعور انها قد اكتشفت الامر قبلى بفتره طويله .

– انا اعشق والدتك ، انها النموذج المثالى للحماه ، انها متعاونه للغايه ولا تتدخل مطلقاً فى شئون احد .

– هى ايضا تقطر اعجاباً بك . لذا فقد رحمنا من احد مصادر الصراعات الزوجيه .

– الصراعات الزوجيه .. هذا امر سخيف للغايه ، اننا حتى لم نتزوج بعد .

– تشيس .. انا واقعى ، فالواقع ان الحياه ليس كلها ورود وشامبينا!

احجت فرانشيسكا قائله :

– انا لم اتخيل انها كذلك ولكننى سأنتظر هذه الاشياء مره واحده فقط فى الاسبوع .

ضحك سول وهو يقبلها قبله حاره افقدتها تفكيرها تماما ثم قال :

– مطلب منطقى جدا !

– ما الذى كنت تقوله عن الخيال والواقع ، عن مشكلاتى فى فصل احدهما عن الاخر .. سول هل تعتقد جدياً اننى اعيش فى عالم خيالى ؟

رفعها سول فوقه ورفع معها درجه حراره الموقف ثانيه وهو يقول لها:

– تشيس .. اريد ان يشارك كلانا الاخر فى عالمه ، اريد ان اتاكد من علاقه لن يصيبها خلل مثلى علاقه أبى بأمى - بسبب التوقعات الزائفه - هل يبدو ذلك غير واقعى ؟

ضحك وهو يسألها فأجابته بنعومه :

– على الاطلاق .. وعلى ايه حال انا اعرف كم انت مختال وغيور ومغرور ، وانا لا اعتقد ان هذه تعد توقعات غير واقعيه لزوج المستقبل .

– انا اتوقع منك الحب والاحترام والطاعه مدى الحياه ، وان تنجبى لى حشوداً كثيره على ان يكونوا نسخه من لوينا وان تدمج اسطبلات هيل ميد مع مدرسه لى بارتون للبولو ونبتعد عن جابريل وشارمين وهوارد جراهام وغيرهم ، طالما حيينا .. هل هذه متطلبات غير واقعيه من زوجه المستقبل؟!

– لا اعتقد ذلك ، فى الحقيقه يمكننى القول انك وضعت كل حقائق الموقف فى اطار جميل .

بدا يثبان حبهما من جديد ، متفقين هذه المره ، فقد امتزج الخيال بالواقع وصار كياناً واحداً .